الخبايا السرية لاكس ليبان

تاريخ المغرب

هذا الكتاب هو ترجمة لمذكرات " ادغارفور " في الجزء الخاص فيها بالقضية المغربية

الخبايا السرية
لأيكس ليبان

أمير المؤمنين
أو المازق المغربي

جاء في تصريح انطوان بيني وزير الخارجيه الفرنسي أمام البرلمان قوله :

على الدوام ينبغي أن يظل المعطيان التاليان حاضرين في أذهاننا :

أولا :

لقد كلفتنا ,فيما سبق, حرب الريف سنه 1926 استنفار 325 ألف جندي بينما لم يكن يتوفر لعبد الكريم الا فرقه واحده من قبيله بني ازناسن يبلغ
تعداد أفرادها حوالي 75 ألف رجل: المسلحون منهم 20 الف رجل.
وقد كان لدينا على خط النار 32 فرقه عسكريه و44 سربا على راسها و 60 جنرالا بقياده الجنرال بيتان.
وللعلم فان هذا الجيش الفرنسي هو الذي خرج منتصرا من الحرب العظمى 1914-1918. كما أن هذا الجيش يعد مدرسه في الجنديه, هذا وقد دعمه أربعه أخماس من السكان المغاربه الذين قدموا 400000 جندي اضافي.

- وأنا لم اسمع عن أحد منكم اتى الى هذه المنصه وصرح قائلا : أنا ألح على الحكومه أن تقوم بدعوه400000 او 500000 رجل اضافي يلتحقون بالجيش.

ان سياسه القوه هاته لمن شانها أن تضعف بشكل كبير ما نقوم به في الجزائر.

ثانيا :

في أواسط سنه 1954 تمركزت أولى العصابات المسلحه المغربيه بالجنوب المغربي, كما تشكلت في الوقت نفسه مجموعات كوماندو بالشمال, ومع حلول شهر نوفمبر سنه 1954 طلب قاده المقاومه الجزائريه من المغاربه المقاومين أن يقدموا لهم يد العون خلف الحدود المغربيه الجزائريه فيقومون بانتفاضه تدعم انتفاضتهم بوهران.
وقد التزم المغاربه لهم بذلك فاستقدموا فرقهم من الجنوب الى الشمال, وأقاموا قياده عامه بتطوان كما تمت الاستعدادات لتنطلق العمليات العسكريه يوم 2 نوفمبر 1954 ببركان و مرموشه, لولا أن أحد المغاربه تخلف عن الحضور مما جعلهم يلغون ما تقرر. فانسحبت فرق الكوماندوز في سريه تامه واتجه افرادها ناحيه الريف حيث أقاموا هناك ولم يباشرون عملياتهم الا بعد سنه.

فلولا ذلك العائق الحاصل سنه 1954 , اذن لانطلقت انتفاضتا الجزائر والمغرب معا وفي نفس الوقت...

واعتقد ان حل القضيه المغربيه كان بمثابه أصعب امتحان لي وأشقه, وهو ولاشك أهم امتحان عرفته في حياتي السياسيه. فضلا عن كونه يمنحني رضا الضمير كل ما رجعت بنفسي الى الوراء مثلنا يشهد على الفعاليه العاليه في العمل السياسي وانا لا اغالي في اعتقادي اذا قلت انني بمجهودي الشخصي استطعت دون جدال تجنيب البلاد فرنسا كارثة لم يكن يفصلنا عن لحظه وقوعها فجر فاتح اكتوبر من سنه 1955 الا فاصل زمني دقيق جدا.و حتى اذا كان يستحيل على مجهود فرد واحد أن يغير تجاه التيار العام, فانه يستطيع بمثابرته على السير في نفس الاتجاه أن يخفف كثيرا من الاذى و من الالم.

و اما المضايقات التي تعرضت لها فكانت ذات طابع اخلاقيا اساسا, و ما كانت لتفزعني لا المساومات المحبوكة ضدي في شهر سبمتبر 1955, ولا تلك الوشاية الكاذبة التي تلتها بعد حين و أن كنت تألمت بسببها و أنا أشعر حيالهما بالغثيان, و لشد ما أقلقتني تلك الاحن و الكراهية التي كنت أستشعرها ضدي خصوصا وأنها صادرة عن أناس حسني النوايا.

وقد سبب لي نجاح جريدة ... لورور .. في جعل كرانفال ينقلب علي جرحا عميقا في نفسي, خصوصا و أنه الرجل الدي اخترته ووقفت بجانبه, اذ دفعوا به الى الاعتقاد بانني أوقعته في شرك و أنني تلاعبت به في مناورة ميكيافيلية أدت به الى تقديم استقالته, أنا أعلم انه رجل مستقيم, وقد تألمت كتيرا لما لحق بي من ضرر جراء تلك الدسيسة الي أوقعت بيننا, و مما زاد في ألمي اعتقادي في كونه سولت له نفسه ان يخطئ في حقي فيظن انني غدرت به. لحسن الحظ اتضحت الامور فيما بعد, فلم تبق أية ضغينة بيننا ,و أن ظل سوء التفاهم قاءما. لقد كان المتطرفون يجهدون أانفسهم بمكرهم الغضوب, وهناك أمثلة اخرى تدل على دالك,في أثارة نزاع بين شخصين رأى هؤلاء في تفاهمهما و تعاونهما خطرا عليهم. و نجد تفسيرا لهدا التكتيك الخبيث, ان لم يكن تبريرا له, ما كان يسكنهم من احساس مشوش. أن رفض التصرف بلا عقل و حكمة لهو خاصية مرضية قد

تؤدي بصاحبها الى سلوك العنف, أن لم يكن عنف القوة المادية فهو عنف عدم النزاهة.

ولعل مثل هده الخيبات تعتبر ضريبة لجميع من جعل من السياسة مهنة له وان كان من الواجب علي أن اقول : انني باستتناء هده القضية بالخصوص, لم أعرف في حياتي السياسية خيبة مماثلة : وأنا هنا لا استدر شفقة فضلا عن كوني ,الأن, قد تجاوزت كل هذا, وان سياستي المغربية في مجملها, والتي كانت تواجه معارضة شديدة في حينها قد ضمنت لي و لا تزال حتى اليوم مصداقية خاصة على الصعيد الدولي, و اذا كنت ذكرت هنا بتلك المراحل في سياستي فلأنني أسعى من وراء هذا الي تقديم صورة على أكمل وجه ممكن من العناصر التي تتشكل منها فترات التاريخ. في صيرورته..

أفكر و انا أكتب هده المقدمة للحديث عن الحقبة التي عرفنا فيها القضية المغربية, في شخص رافقني, كانت المخاطر, التي خاض غمارها, شديدة العواقب عليه, الا أن ما كوفئ به كان أأقل شأنا مما عاناه : أنه بيير جولي الدي قدم مستقبله السياسي قربانا لوفاءه و قناعته, التي كانت قناعاتنا جميعا.

تعلق بي هدا الرجل فلم يضعف لحظة, ولم يفكر أطلاقا, فيما بعد, في معاتبتي, ولو في رفق, على أنني لم أكن اخذ برأيه دائما, وأنا لا أبدي درة من الحسرة على رؤيته لي و أنا أصر على متابعة السير بينما هو انسحب من ميدان العمل السياسي. لقد كان ذا عقل متبصر, و لطيفا كذالك, وما لحق به من ادى يبرهن على شدة وقع ظلم الأحكام الرائجة التي تصدر في حق رجال السياسة, و الحال أن في هدا العالم كما في عوالم أخرى, يوجد شيء أسمه النبل, و فجأة أذا بواحد من الرجال يرتديه لباسا.

و يعود ما تعرفه القضية المغربية من صعوبة بالأساس ألى كون السياسة المتبعة ,حتى الأن , لم يكن يحاربها من هم في فرنسا أو من هم في المغرب و حسب, أي من أولائك الذين يفترض فيهم منطقيا أن يكونوا معارضين لها. بل حاربها

حتى بعض أولائك الذين صادقوا علبها و قد كان عليهم مساندتها.

و قد كنت في فرنسا أنتظر معاداة المحافظين لسياستي وهم أناس ينتمون الى الماضي و يقاومون كل تطور مصرين على عدم فهم ما يعرفه العالم ,حولهم, من تحولات مند الحربين العظيمين, تحولات لم تعد تسمح بالسير وفق نظام الحماية كما تقرر قبل 1914. و الحال أن روح دالك النظام كما استلهمه ليوطي قد خانته و داسته بالأقدام تلك الإدارة المباشرة التي ظل ليوطي يدينها.

و أتناء معالجة القضية التونسية واجهتنا أنا و بيير منديس فرناس مثل هذه المعارضة من قبل الرجعيين لكننا تغلبنا عليها دون صخب.

و تقدم القضية المغربية, تركيبية من الحوادث الخاصة, فهناك المؤامرة العتيقة, و المالية بتعبير ,بيدو, التي جمعت بين رجال لا شيء يؤلف بينهم, من أمثال لكلاوي و الماريشال جوان و بونيفاص و مارسيل بوساك بجرائده و محاميه, ولكل شريك من هؤلاء تأثير على الاخر حتى أنه يستحيل على المرء التعرف على من منهم يشكل ,العقل المدبر, كما يستحيل عليه أن يلجأ معهم الى تكتيك : فرق تسد.

و هناك حادث اخر يعد امتدادا للأول: هو مشكل الملكية, لم يواجهنا ما يشبهه بتونس رغم تعويض الأمير منصف بالأمير الأمين, و ما واكبه من الضغائن و اللامعقولية أثيرت حول محمد الخامس.

وقد تعدى مفعول هده الأحداث الأوساط المحافظة لينال من أولائك الرجال المتفتحين على العالم وعلى تطور بنياته فشكل هؤلاء و أولائك معارضة لسياستنا المغربية.

و هكذا بينما الأزمة المغربية في عنفوانها كان لي حديث ذا دلالة مع بيير لازريف وهو مخبر كبير و محرك متميز, لازلت أذكره يوم دخل مكتبي بماتينون و توجه ألي بالحديث في نبرة حادة تثير الشفقة قال :

يا أدجار لقد حان الوقت لتبرهن على أنك لست حاد الدكاء و مدبرا ممتازا للشؤون الاقتصادية و المالية فحسب, بل و رجلا ذا طبع شجاع كدلك.

أعتقد أنني كنت أجهل موقف زائري لما صفعني بتأنيبه لي.

هدا و هو باعتباره متخصصا في الاعلام قادر على ادراك أن لا مفر من الحصول على موافقة محمد الخامس, ولعله لهده الغاية تقدم بمسألة ضرورة توفري على الشجاعة أو لعله تأثر بالدعاية المتعددة الألوان حول المغرب الطيب, كما تأثر بأصدقاء فرنسا من أمثال بوصاك و جوان و الكلاوي, وهذا الافتراض الثاني أصح, ثم ختم حديثه بقوله :

قدموا خمسين ألف قتيل, و ستحتفظون بالمغرب.

قلت : يا عزيزي بيير, أنا لست مثاليا مخلصا, و سأقبل مناقشتك معي في ما تراه, ويمكنني أن أقول لك : لا شيء عندي يساوي ألف قتيل...لا شيء يساوي قتيلا واحدا, ان روحا بشرية واحدة لها عندي نفس ما للعالم كله من أهمية, اطمئن. أنا أقبل شروط مقايضتك هاته و أقول لك : خمسون أالف قتيل في سبيل المغرب اتفقنا. ولكن ماذا لو عكسنا الحسبة و قلت خمسون الف قتيل و يضيع المغرب من؟ هذا ليس حلا سليما : سأكون أمام خمسين الف قتيل و اكثر, و ستفقد فرنسا المغرب, و هي في هده الحالة لن نخسر المحمية وحدها فقط بل سوف لن يبقى لها نفود بالمنطقة و لا صداقة, وستخسر المغرب العربي بأكمله. كما ستخسر ماء الوجه.

ولم يكن بين الفرنسيين ممن ناصبوني العداء الرجعيون وحدهم, رغم ما كان يتمتع به هدا اللوبي من نفوذ, بل أنضم اليهم في معاداتي مجموعة من أولائك الدين اطلقوا عليهم الليبراليون و الحال انني كنت أستطيع الاعتماد بالتأكيد على بعض السند من هؤلاء, وأذكر بالأساس دلك الدعم الثمين و الثابت لبيير بريسون و للفيجارو, وهنا كذلك يقع حدث خاص كان في غير صالحي هده المرة أيضا سببه ذلك العداء الدي يكنه لي بعض الاشخاص من فريق ,زعماء الغارات الزائفة و الصاخبة, فبدلا من أن أحظى منهم بقليل من التشجيع السياسي ظلوا يستهزؤون بي و يعاتبونني, فحاربوني بأقلامهم و بالكاريكاتور ,أتذكر رسما بشعا أظهر فيه و أنا ألعب الكرة مع كرانفال بينما العاصفة تلوح في الافق, و أبادر بالقول : ان ,ج.ج.سيران, لم يكن له دخل في هدا الهذيان و قد خصص مقالات يثني فيه بصدق على سياستي.

كان التقدير في تلك الحقبة أن المغاربة يتطلعون الى تحقيق مطلبين مرتبطين عمليا فيما بينهما و ان كانوا يبدوان في الظاهر مستقلين عن بعضهما.

لنشر أولا الى أن الزعماء التقليديين وهم تحت نفود لكلاوي و كذا سكان البادية المنقادين لزعمائهم ظلوا مبدئيا, ولكن ليس كليا و لا لأمد طويل, في منأى عن هذين المطلبين.

و اذا, هناك من جهة: المطلب الملكي : اذ يعلن سكان المدن ,بمن فيهم تلك التجمعات السكنية الأقل شأنا, ولائهم لمحمد الخامس و يطالبون رجوعه, فهو بالنسبة لهم السلطان و الملك, ومنذ نفيه و الوطنيون يشجعون هذا الشعور, بالتعلق الفيودالي بشخص السلطان حتى اصبح من الصعب التمييز في هذه الحركة العاطفية الجماعية بين ما هو من نصيب الوطنية و بين ما هو من نصيب الملكية, خصوصا, اذا ما اضفنا كون الملك يعتبر: الأمام و أمير المؤمنين. وهناك من جهة اخرى : المطلب الوطني الاستقلالي الدي كان قليل الانتشار بين البوادي ولم يعمها بعد.

و ما أن وجد من يروج له هناك حتى صادف ذلك التعلق بالملك و بالدين فزاد من حدته. اننا نتحدث في حالة المغرب, عن الاستقلال وقد نجد من يقول لنا : في القضية التونسية وهي مماثلة لقضية المغرب كنتم تتحدثون عن التسيير الذاتي. وهنا لابد من التوضيح : لقد كان هدف الوطنيين بالمغرب هو الاستقلال وليس مجرد التسيير الذاتي, فاسم أهم حزب في هده الحركة هو حزب الاستقلال مثل حزب الدستور بتونس. وقد اجبت بسهولة دلك الشخص الدي أبدى يوما مثل هده الملاحظة في الجمعية الوطنية بقولي له هل سمعت يوما بحزب يسمي نفسه حزب التبعية؟ هدا فضلا عن وجود حزب ثان دي تطلع أقل ملكية, وقد نعت لبعض الوقت بالجمهوري, يسمي نفسه هو كدلك بحزب الديمقراطية و الاستقلال.

و بجانب كل هذا نجد عددا من الوطنيين يعتقدون أنه لا يمكن الوصول بالبلاد دفعة الى الاستقلال التام لا لكون الفرنسيين لن يقبلوا بدلك. ولكن لأن البلاد في حاجة الى أحداث بعض التحولات بها تكون ملاءمة فيصرح هؤلاء, في صدق ملتبس بانهم قد يرضون في الوقت الراهن, بالتسيير الذاتي على غرار ما تحقق في تونس و ان ظل هدا التنازل منهم يطرح على أنه بالتحديد تنازل مؤقت وهو

الموقف الثابت للسلطان و لأبنه مولاي الحسن, بل أن السلطان نفسه تقدم بفكرة ذكيه ألا و هي فكرة ,التبعية المتبادلة, التي بسببها تعرضنا أنا و ,ببيني, للنقد و لوابل من الاستهزاء وان اعتبرت في تلك الحقبة فكرة مقبولة من الجميع بمن فيهم لكلاوي وابن عرفة والجنيرال جوان.

والان لنتناول الجناح الاخر الذي لم يكن ظاهرا وقتها, لأن الناس كانوا يخلطونه خطئا بالجناحين الأولين : فهو الذي يسمح لنا بكشف البعد الاضافي للرهان. الدي قبلنا السير فيه فعلاوة على المطالبة بعودة الملك و المطالبة الوطنية بالاستقلال, وقد انخرط هدا الجناح دائما في المطلب التأني دون أن ينخرط بالضرورة ضمن من نادوا بالمطلب الاول او كانوا غير صادقين في مطالبتهم به, كان لهدا الجناح الثالث هدف اضافي تعلقي به مجموعة نشطة من افراده كانت اكثر صلابة و عدوانية, استعدادا للقتال, و تحفزا للحرب ممن سبقوهم, كانت تلك المجموعة تعان عن نفسها عبر تنظيم غير محدد المعالم و بأشكال غير متغيرة اطلق على نفسه اسم, جيش التحرير المغربي, و قد تأسست طلائعه خلال شهر سيتمبر1954 , وكان هدف مؤسسيه القيام بانتفاضة في المغرب تتزامن مع حركة التمرد ,الثورة الجزائرية, التي ستنطلق في شهر نوفمبر لولا ظروف متعددة اخرت ذلك التحرك ودفعت المسؤولين على التنظيم الى تأجيل ,اطلاق النار, في وقت واحد مع الجزائريين , وقد قام مؤسسوا جيش التحرير على اعداد هذا الجيش منذ ما قبل حكومتي, فنظموا في سرية تامة استعداداتهم العسكرية و كذا اتصالاتهم بمقاومي المغرب الاوسط, الجزائر, وكانت اتصالاتهم مؤمنة جدا بالرغم من أن تلك الاستعدادات كانت تجري بمكان يقع في منطقة بعيدة عن الحدود الجزائرية المغربية. وكانت أهداف مؤسسي المقاومة تتجاوز المساندة العسكرية المتبادلة لتعمل على تحقيق مشروع سياسي بعيد المدى نجحوا في الابقاء عليه طي الكتمان. و يتعلق الامر بإقامة وحدة المغرب العربي الكبير انطلاقا من عملية عسكرية شاملة تحت شعار جامع هو ,الجهاد.

وحدة سياسية في ظل دولة ثورية حديثة تضم المغرب و الجزائر ثم تونس فيما بعد التي كان يتأسفون على حيادها, و بدلك يؤسسون كتلة لا تهدف بحركتها تحقيق الاستقلال فقط, وانا تسعى الى تحقيق اتحاد دي نزعة اشتراكية.

مشروع الوحدة الثورية للمغرب الكبير :

لم أكن على بينة تامة من هدا الجانب من المسألة الا بعد ما أطلعت على ما تم من اتفاق بين مختلف فروع الحركة لوطنية, عرفت هذا في شهر سبتمبر, وكان جيش التحرير بين هذه الفروع, ولم أطلع على الأمر بالكامل وعلى حقيقته الا فيما بعد , وقد حدث دلك عن طريق عدد ممن تحدثت معهم ومنهم على الخصوص أحد المغاربة وهو الدكتور زنيبر , الذي اصبح فيما بعد سفيرا للمغرب بالصين ولما ذهبت في مهمة هناك. كما حدثني عن ذلك ابن يحيى الذي شغل منصب وزير الخارجية الجزائرية قبل وفاته على اثر حادثة مشبوهة...قال لي في حديث مطول وصريح : السيد فور أنا أشعر نحوك بمودة, وانا أعترف بذلك الا انني كنت ألعنك ولم أمنع نفسي من الحقد عليك لحد الساعة, لأنك وقفت حاجزا أمام التاريخ, تاريخنا : لقد حطمت بسياستك المغربية خططنا, فجعلت قيام مغرب كبير موحد و ثوري أمرا مستحيلا بعدما كنا على وشك تحقيق دلك فقد كان الاتفاق الشامل الدي تم بين الاحزاب الوطنية وجيش التحرير يرى أنه في حالة ما أذا لم يغادر ابن عرفة الرباط صبيحة فاتح اكتوبر, فأن حزب الاستقلال سيتخلى عن متابعة البحث عن التوصل الى اتفاق مع الحكومة الفرنسية و ينظم الى الثورة, وغادر السلطان المزيف الرباط صبيحة ذلك اليوم المتفق عليه,

وانطلقت التحركات المعدة جيدا في الساعات الاولى من ذلك اليوم, من منطقة محادية لمنطقة الحماية الاسبانية. الا أن العمليات التي سبق الاستعداد لها حتى ننطلق في اليوم التأني, من اكتوبر, وما بعده والتي كان من المفروض أن تتم في اتصال بين تلك الحركات قد تم التخلي عنها فلم تتحقق بدلك الانتفاضة الشاملة وضاعت فرصة عظيمة.

قلت : انا أنظر طبعا, الى الأمر بصيغة اخرى : من وجهة نظري, لقد تجنبنا, بسياستي تلك خطرا عظيما.

وفي سنة 1955 أثار موقفي اتجاه المشاكل الخطيرة التي كانت فرنسا تعاني منها بالمغرب تعاليق كثيرة, بينما كان في امكان كل شخص, مهما قلت معلوماته عني, التعرف على الحالة الدهنية التي كنت عليها.

ونظرا لتلك الاعتبارات, التي دفعتني الى وصف تنحية محمد الخامس عن العرش بالعمل الاجرامي فقد اعتقدت بأن المشكلة الملكية, و بالشكل التي هي عليه, وجود ابن عرفة على العرش الشريفي لن يكتب لها الاستمرار.

ولم يكن الأمر ليصل الي تقديم استقالتي احتجاجا على تنصيبه على العرش لو أني كنت افترضت ان الامور بعد كل هذا وذاك ستصلح وتعود الى مجاريها, في بضع سنوات.

فلو برهنت لي الوقائع على أنني كنت مخطئا, وأن ابن عرفة, كان مقبولا من المغاربة وأن محمد الخامس قد نسي, و أن حماقة كبيرة كانت هي عين الحكمة لوكان الامر كداك, لكنت ساعتها طأطأت الراس و أقررت بدنبي.

الا أن الحقيقة كانت على نقيض من هذا السراب, اذ كان الأرهاب تعاقبت موجاته من جهة, وذلك تبعا لقانون التيارات المترددة المنظمة لمثل هده الظواهر حيث يتنامى مدة, وبعد موجة من القمع الشديد يهدأ, ليعاود الكرة في حالة أشد قوة و أخطرها فيترتب عن هده الموجات من الارهاب, ارهاب مضاد بتشجيع القوى التي أوكل اليها مقاومته.

كما عرفت الحياة الاقتصادية, ركودا متأثرة بحالة الفوضى الظاهرة و الخفية.

وأخيرا لا يمكن أقامة أية حكومة في غياب تعاون ممكن من قبل عناصر تمثيلية للسكان المغاربة, في الوقت الذي يعيش ابن عرفة عزلة تامة و يرفض الخروج من قصره. وهو بكل المقاييس عاجز عن ممارسة أية نشاط من أي نوع كان, وحتى وأن كان, على فرض اكتر حيوية, فأن ذلك لن يغير من الأمر شيئا.

فهل كان بوسعي انطلاقا من هده الحالة, التوصل الى حل بديل؟

كان احساسي الشخصي, لأن عودة الملك المنفي أمر لا مفر منه. الا أن ذلك لم يكن يقينا رياضيا, وأنما هو مجرد احتمال قوي. اعتقدت أن هذا الحل لم يكن الحل الأكثر احتمالا فقط, بل هو الحل المرغوب فيه بالحاح.

فادا ارجعت فرنسا الملك, ابن يوسف, فأنها تفقد بذلك ماء الوجه. والملك من جهته سينسى الاهانة التي لحقت به اعتبارا لذلك الجانب الروحي الدي تصطبغ به كل مصالحة رسمية.

لهدا كان الملك أفضل ورقة لدي و ذلك لقوة شخصيته, ولتجربته, ولوجود ابنه الحسن بجانبه, كما لاحظت من قبل فضلا عما يتوفر عليه من مؤهلات فريدة زيادة على الحظوة و التقدير اللذان أصبحا, بعد المحنة التي يعيشها, يتمتع بها بين المواطنين, هذا مع العلم انني لم أكن أجهل ما تواجهه هذه الفكرة من مقاومة قوية يقودها تحالف جماعة الاقطاعيين الأوفياء للكلاوي وغالبية الفرنسيين, باستثناء جماعة قليلة من الليبيراليين المنفتحين, الذين كانوا يعتبرون أنفسهم قد انخرطوا في مغامرة لم تكن عندما انطلقت مغامرتهم وقد كانت تلك الجماعة القليلة من الليبيراليين تتمتع بين الاوساط البرلمانية والسياسية وحتى لدى الرأي العام بنفوذ يفوق في قوته حجم التمثيلية الحقيقية لأفراده. وذلك لما كان لبعضهم من مكانة وما يتوفرون عليه من وسائل اعلام صحفية و من نفوذ لا يفهم باعتبار ما يتصف به موقف هؤلاء, من لا عقلانية وعدم الواقعية, غير أن هناك عددا من الشخصيات في الجناح الأرثودوكسي هم أقل عنادا من بوساك وان كان هناك أمل في أن يطرأ تغير على موقف هذا الزعيم, ورغم هذا وذاك كان يواجهنا ساعتها توقف منطقي مدهش في معالجتنا الامور.

كانوا لا يلحون على الاحتفاظ بالسلطان ابن عرفة ومع تنحيته ويرون أن لا احد يريد المساهمة في أعداد اصلاحات يراها الجميع ضرورية, ولهدا السبب فشل اهم مشروع تقدمت به كل من حكومة مانديس فرانس, والمقيم العام لاكوست.

ومن ثمة, كان المحافظون المعتدلون و المتنورون نسبيا, يقبلون طرح المسألة الملكية, ويحاولون ايجاد صيغة لتنحية ابن عرفة, اما بتعيين سلطان جديد, الرجل الثالث, او بتفويض السلطة الملكية لخليفة ,وهي صيغة تعتبر مرحلة في اتجاه الخطوة السابقة, أي الرجل الثالث.

الا أنهم كانوا يرفضون القبول بمجلس التاج لأنهم كانوا يرون تركيبته الجماعية مجرد مرحلة انتقالية تقود الى عودة لاحقة لمحمد الخامس, ولم يكونوا في ذلك مخطئين.

وعلى عكس ذلك, كان محمد الخامس الدي قبل رسميا مجلس التاج, لم يكن يقبل الحديث عن صيغة الرجل الثالث وهكذا أصبحنا في مأزق. وبالفعل , أن استحالة الأبقاء على ابن عرفة, وهو أمر يقر به غالبية الواقعيين, لم يكن له من سبب اخر طبعا الا رفض هذا السلطان من قبل الملك الشرعي و أتباعه الداعين الى الشرعية, ومن المواطنين.

والحال أن تعويض ابن عرفة بمن يخلفه سيكون مرفوضا, اذ سيعني دلك تعويض مغتصب للعرش بمغتصب أخر, وهذا لن يغير من معطيات المشكلة في شيء.

والأثر الوحيد الدي يحدثه هذا التراجع سيكون زيادة في حنق المواطنين و كذا اضعاف الموقف الفرنسي.

ان الوظيفة التي يضطلع الملك الشريف وسلالته الدينية تبدوان أكتر قوة منها في أية حالة اخرى من حالات الأنظمة المصنفة ضمن الخانات السابقة فهو يحمل لقب أمير المؤمنين وتقام الصلاة بأسمه فكيف ستكون و الحالة هذه العواقب الناجمة عن تشكيل محتمل لمجلس التاج؟

ان أولى هذه العواقب ستتمثل في امتناع جميع المغاربة عن الصلاة باسم ابن عرفة, وقد نزعت منه هذه الوظيفة الدينية مثلما نزعت منه باقي الوظائف الأخرى, وثانيها سيصلي جميع المغاربة باسم مولاي يوسف, وهو ما يقوم به حاليا كثير منهم, واذا كان هدا يتم اليوم خارج الشرعية فلن يكون غذا كدلك.

و الواقع أنه لا أحد يستطيع تصور كون الصلاة ستقام باسم مؤسسة تدار جماعيا, وهي مؤسسة التاج, فضلا عن كون الصلاة اذا أقيمت في هده الحالة فإنها ستقام بذكر القائمين على هذا المجلس كل باسمه. ولا يوجد البتة رأي يقبل بمثل هذا, و غالبا ما يعالج مثل هدا المشكل بإلغائه.

وقليل هم الفرنسيون, حتى الأكثر بينهم, الذين يقدرون هدا الواقع البسيط جدا حق قدره.

فاذا لم يكن مجلس التاج سيتمكن عند قيامه من أعادة تنصيب السلطان المعفي تنصيبا زمنيا, فانه يمهد لتنصيبه روحيا, او بعبارة أدق سيقر تنصيبه هذا بالكامل.

وقد كنت اعتبارا لتكويني القانوني و التاريخي أحد المؤهلين لإدراك هدا الجانب من المسألة, غير أنني لعدم ادراكها من الداخل لم أستخلص منها كل ما يترتب عنها من عواقب منطقية. نعم لقد أادركت أن أعادة التنصيب الزمني للسلطان يستتبعه و بشكل طبيعي التنصيب الروحي, وبهدا المعنى تتضح تلك الفكرة التي عبرت عنها يوما أمام كرانفال والتي سيجعل منها موضوعا لتخيلات مدهشة,

اما كرانفال فانه لم يستوعب اطلاقا هدا المعطى النظري, وان كان على علم به, ولم يتصور مسالة التتويج هذه.

الخيار الحقيقي, أما مجلس التاج أو الجهاد

واذا لم يكن الاختياران اثنان وهما :

اما الأبقاء على الوضع كما هو وفي هذه الحالة لننتظر انفجارا شاملا يلوح في الأفق و تتضافر في حدوثه عدة ديناميات متناقضة و لكنها تنصب كلها في أفواها ألا وهي الدينامية الدينية. ساعتها سنواجه والحالة هذه حربا مقدسة, الجهاد, شاملة تعم أرجاء المغرب الكبير وهو ما يتمناه اعضاء النواة الصلبة من الوطنيين.

واما تأسيس مجلس التاج, وهو ما يفضله كل انسان عاقل.

انما قد يثار سؤال حول ما اذا كان مجلس التاج يستطيع فيما لو تأسس, تعطيل فكرة عودة محمد الخامس الى الحكم, وهدا التعطيل امر محتمل جدا, وهو ان كان مشكوكا في توقعه, وغير منطقي كما يبدو, فأنه على الأقل سيسمح بكسب الوقت الكافي تهدأ خلاله النفوس. غير أن هناك من الناس من اطلق العنان لأنفسهم فبدؤوا يحلمون بأفكار بئيسة متوهمين انه قد يحدث, مدة قيام مجلس التاج, أمر ما لم يكن متوقعا يؤدي الى اسقاط فكرة عودة محمد الخامس أو على الأقل يدفع به الى رفض العرش مع قبوله بدور الحكم فيما يتعلق بمسألة البحث عن حل بديل.

كان السيد لمعمري, وهو من كان كرانفال يقدر اراءه, يعتقد أن محمد ابن يوسف لن يستطيع العودة الى عرشه, وان حصل فلن تكون تلك العودة على كل حال الا بعد سنتين.

سلطة الاسم :

نتمكن من تقدير المسالة في مجموعها حق تقدير الا اذا اخذنا في الاعتبار تلك المميزات الخاصة جدا التي تتميز بها المملكة الشريفة:

ان ملك المغرب لا يعتبر ,في نظر المغاربة, زعيما وقتيا فحسب, بل هو زعيم ديني كذلك, و ينتمي نظام الحكم هذا الى تلك الانظمة السياسية المعروفة بالتسميات التالية:

° ثيوقراطي, قيصري, بابوي. كما ينتمي الى نظام الملكية ذات الحق الالهي ,من مثل النموذج الدي سبق لفرنسا أن عرفته, و المألوفة بين مواطنيها صورته, يضاف الى كل هذا الطابع المقدس اللصيق باسم الملك.

و سيجعل هدا الجهل بالمسالة حسابات كرانفال خاطئة الى حد أن البعض أصبح يتوهم بأن في ابعاد الملك عن مهمته الزمنية عودة لسلطانه الروحي الوظيفتان, الزمنية و الروحية, هما في الواقع وجهان لنفس الميدالية.

ولعل هذه بدون شك غلطته الوحيدة, واما لا أاخده عليها, كما أابرئ نفسي من ارتكابها, وبما أنه وحده من يتحمل عاقبتها....فهي غلطة لم تنل من قيمة مخططه, ولا من فضل عمله, و ان عكرت, ولفترة معينة, صفاء ذهنهن و روحه.

فرانسيس لاكوست

بين برقيتين

في يوم الجمعة هذا دخل علي جاك دوهاميل وكانت ملامح وجهه تنذر ببداية يوم سيء

قال : انك مشغول جدا بما يحدث ب villers, farlay.

قلت : سأذهب الى هناك زوال اليوم.

قال: أتمنى أن لا يكون قد شغلك هدا عن قرار زيارة بيير جولي الى المغرب و سيذهب هو كذلك في الساعات القادمة.

قلت: أعترف بانني لا أفكر في هدا الأمر الأن, ولكنني على علم بقراره, فقد تحدث عن سفره هذا أثناء انعقاد مجلس الوزراء حيث كانت الاجواء طيبة : وقد ألح الجنرال كونج على المجلس أن تخول للإداريين بالمغرب سلطات اوسع ,فهم يتولون مناصب اداريين مساعدين دون أن تعطى لهم اية مسؤولية حتى أنهم أصبحوا يشغلون انفسهم بقراءة الجرائد في مكاتبهم. كما طالب ,كستون بالورسكي, المجلس بإقامة حكومة مغربية, اما مشكل الملكية فلم يثره احد.

قال , في صيغة عتاب, لعله ان الاوان للتفكير في هذا المشكل, اذ يبدو ان جولي ينوي زيارة ابن عرفة.

قال: سيكون الامر, لو حدث, مزعجا جدا. فهناك من ينتظر منا ادنى هفوة, والوطنيون المغاربة مستعدون على العموم لمنحنا ثقتهم, لولا ان المتطرفين من اصدقائهم يحرضونهم علينا. وهده الزيارة ستطبع عملنا كما ستصلب المواقف ضدنا هنا و هناك.

طلبت من بيير جولي الحضور الى مكتبي على الفور, فأقبل بصحبة فرانسيس لاكوست.

كان الرجلان ايامها في غاية التفاهم, اد كانت حكومة ,ليونيل, عينت فرانسيس لاكوست مقيما عاما بينما ,بيير جولي, كاتبا للدولة بالمجلس, وقد سررنا انا وهو ساعتها غاية السرور لهذا الاختيار خصوصا و انه اقترن بذهاب الجنيرال كيوم, ذلك الشخص الدي ظهر ضعفه في حادثة نفي ابن يوسف, اقول ضعف لأنه نفد عملا سبق لجولي ونصحه جولي بعدم الاقدام عليه ولكنه نفذه بضغط من اللوبي الاستعماري.

وفي كتاب ,بيير جولي, جمهورية من اجل ملك, صورة طريفة عن فرانسيس لاكوست ولكن في غير خبث وان كنا نجد في مقاطع في هذا الكتاب حكما قاسيا على من كان من الممكن نعته ب مقيم عام الفراغ, اقصد لاكوست, .

لقد كان فرانسيس لاكوست رجلا ديبلوماسيا ذكيا و مثابرا, غير انه لم يكن مهيئا ليحل محل الحكومة فيتخدد قرارات لم تكن الحكومة تتخذها, وبالمناسبة ألم يلم ,روبرت شومان, في مقال له Lanep الولاة على كونهم يتصرفون على هواهم فيدوسون بدلك السلطة السياسية بالإقدام؟

وهل كنا ننتظر من لاكوست ان يصبح, كيوم, الخر أو ان يتحول في شجاعة خارقة الى نقيض ,كيوم,؟

فكر, مانديس فرانس, في كونه يستطيع حل مسألة العرش بعقد اتفاق مباشر مع السلطان, فبقي لاكوست بدون تعليمات وبدأ يتصرف بما يراه مناسبا الى ان قام في النهاية بإرسال برقية يوم 18 يناير وهي عبارة عن خطاطة اقتراح يتضمن ابعاد ابن عرفة وتفويض الخاتم الى خليفة.

هذا كل ما يمكن استخلاصه من رسالة مطولة في صياغتها اقرب الى انشاء من اجل اجتياز اختبار في مباراة منها الى خطة عمل...

و تعاون كل من , بيير جولي و لاكوست, في اقناعي بانه لأمر مستحيل وغير معقول ان يحل الوزير بالإمبراطورية الشريفة دون ان يسلم على السلطان, واكدا لي على ان هذه الزيارة ستكون سريعة وفي اقل ما يكون من البروتوكولية حتى ان الوزير سيذهب الى القصر في زيه العادي. ماذا عساي أن أقول؟

قلت ,لدوهاميل, بعدما استأذن المسافران.

° المزعج حقا هو الزيارة نفسها.

رد ,دوهاميل, في قلق : انهما متفاهمان جدا.

وانا كنت أعلم ان ,دوهاميل, لا يثق في ,لاكوست, والواقع أن تخوفاته لم تتحقق على الاقل من حيث كنا نتوقع حدوثها.

ثم استطاع ,ببير جولي, من جهة اخرى أن يلتقي هناك ببعض الشخصيات الوطنية أو من عرفوا بتلك الصفة وتم هذا اللقاء بفضل, من سيصبح مشهورا فيما بعد, ألا وهو القبطان أفقير. وقد سبق أن اختاره لاكوست مساعدا له فكشف حينها عن استعداد عجيب للدس و التآمر. وقد كتب جولي عن هذا اللقاء يقول : يبدو ان الوطنيين اكثر انشغالا بأن تعترف فرنسا رسميا برغبة المغاربة في الاستقلال أكثر من اهتمامهم بأن تمنحهم أياه فورا. وقد شعرت بإمكانية التفاهم معهم بالطريقة التي حققنا بها التفاهم مع الوطنيين التونسيين, تفاهم في اطار تعاون متين مع فرنسا.

ألا أن الأمور تعقدت من جانب السلطان وذلك اما لكون ابن عرفة ,او بالأحرى مدير البروتكول الحجوي الدي كان يشتغل حارسا له في الوقت نفسه, شعر بالإهانة لقصر الزيارة, واما لكون الصحافة وجهت له انتقادا , او بسبب الامرين معا.

وقد كتبت صحيفة France soir مقالا بعنوان :

قد يكون الوزراء الشباب اقترحوا على جولي : اخلاء العرش, اي تسريح المخزن, وتشكيل حكومة التفاوض.

قرر ابن عرفة توجيه رسالة مباشرة الى رئيس الجمهورية مستغلا بذكاء غياب ,لاكوست, حتى يضمن نقل تلك الرسالة الرئيس عن طريق الاقامة العامة , وقد أكد في تلك الرسالة رغبته في البقاء على العرش كما أكد فيها على ممارسة حقوقه كاملة كسلطان خصوصا فيما يتعلق بالإصلاحات التي كثر الحديث عنها.

فكانت هذه المبادرة الغير متوقعة من رجل أعتقد انه استمرأ الاستكانة, مفاجئة لفرانسيس لاكوست كما أثارت غضبه فعبر فيما يبدو عن اندهاشه كما وبخه على ذلك.

ولعل فرانسيس لاكوست أراد تدارك الأمر لا دعا , ببير جولي, للقيام بزيارة ثانية للمغرب و ان كانت الظروف تختلف عن سابقتها. والمناسبة كانت حضور حفل صاخب لتدشين سد بين الويدان الدي اعتبر بحقينته 1500.000 مترمكعب

من الماء وبتوفيره لست ملايين كيلو واط في الساعة أهم منشأة مائية في القارة الأفريقية.

ظل السراب الاقتصادي و لمدة طويلة موضة بين الأوساط الحكومية الفرنسية. وهكذا كانت تلك الدوائر تتبجح فيما بعد بكون المنجزات الاقتصادية سوف تنهي المشكلة الجزائرية.

وبهذه المناسبة قابل , بيير جولي, السلطان مرة ثانية فاتخذت هذه الزيارة طابعا رسميا أكثر, أجبر خلالها ابن عرفة الوزير على الاستماع الى تلاوة الحجوي لتصريح لرسمي ضمنه محتوى الرسالة التي بعث بها الى رئيس الجمهورية.

وعند مراجعة الامور أصبح الوضع يبدو كما لو كان صف التيار التقليدي يعرف تباينا داخليا في موقف أفراده من جهة هنام التقليديون المتطرفون, تيار ابن عرفة, الذين يرفضون الحديث عن تنازل السلطان عن العرش, ويحثونه وهو القابع في قصره لا يبرحه خوفا من محاولة اغتيال اخرى, على المطالبة بكل شجاعة بأن يمارس اختصاصاته الملكية كاملة المستمدة من الحق الألهي.

ومن جهة ثانية هناك التقليديون المعتدلون الدي يرون و بتحفيز من لاكوست, الموافقة الضمنية للكلاوي لو أجبر نفسه على ذلك, ان ذهاب ابن عرفة و تفويض من السلطان قد ينتهي بتعيين لسلطان جديد يسمح مباشرة بتشكيل حكومة مغربية تجعل حدا لحالة الفراغ التي يتحرك فيها المقيم العام لاكوست.

هذا الحل الاخير اعجب , بيير جولي, أذ وجد فيه تخليا عن مناورة 1953 وتحولا يسير في الاتجاه السليم كما أعتقد انه سيكون بهذا الحل قادرا على جعل اصدقاءه السياسيين من اليمين الفرنسيين يبتلعون الطعم. أما من جهتي فكنت طبعا متحفظا أكثر فيما يتعلق بجوهر المسألة لأنني اعلم انه لن يتوفر لأي حل حظ من النجاح, ولو مؤقتا, ما لم يحض بموافقة السلطان بن يوسف الذي لم يكن يقبل بأقل من مجلس التاج.

انه باختصار مجلس تاج مختزل في شخص واحد كما وضح لي , فلم اكن مقتنعا, ولكنني لم أكن غاضبا وأنا أرى شيئا ما يتحرك.

وفي الفترة الفاصلة بين سفر ,بيير جولي, الأول والثاني الى المغرب وصلنا تقرير بعث به الملازم, طوكا, وكنا ننتظر وصوله بفارغ الصبر وكان, طوكا, ضابطا من الدرك أرسل ألى , أنتسرابي مدغشقر, للسهر على حماية العائلة الملكية, فكانت مناسبة اظهر خلالها لباقة دبلوماسية كما كان منتظرا منه, ثم انني اكتشفت فيه جميع الخصال الضرورية التي ينبغي توفرها في السياسي الحق, وربطت بينه وبين السلطان وابنه صداقة قربته منهما فجعلاه مستشارا لهما فيما بعد.

ومن هذا التقرير علمنا أخيرا بتلك المواقف التي اتخدتها الحكومة السابقة منها كون, مانديس فرانس, أرسل السيد , دوبيي, في مهمة خاصة الى محمد الخامس, وهو طبيب العائلة الملكية وصديقها, كنت التقيت به على مائدة ولي العهد مولاي الحسن خلال حفل عشاء سبقت الاشارة اليه....كان المقصود من المهمة توجيه انذار الى السلطان : أما أن يقبل التنازل عن العرش و يقيم في فرنسا معززا مكرما, وأما أن يرفض فتتغير ظروف منفاه لتصبح أشد قساوة.

قال مولاي الحسن: لقد عرضوا على والدي امكانيتين اما التنازل على العرش زائد الملايير أو النفي في جزيرة جرداء ليس له فيها الا كوخ يحميه.

لم أصدق ما قرأت, نظرت الى بيير جولي الدي واطلع على هدا التقرير فلم أجده أقل ذهولا مني طبعا, رفض جلالته دلك طبعا رفضا باتا. اذ مهما كان حجم المغريات فانه لن يخون شرفه ابدا , دلك كان تعليق مولاي الحسن.

وبالمقابل يذكر تقرير, طوكا, أن السلطان سبق له و أن التزم ولا يزال يمتنع عن ممارسة اي نشاط سياسي, وهو تصريح لا يلزمه اطلاقا بالتنازل عن العرش.

سألت, بيير جولي, ما اذا كان, فرانسيس لاكوست, يوافق على ذهاب السلطان ابن عرفة, لأن البرقية التي بعث فيها بشهر يناير كتبها على عهد حكومة مانديس فرانس. فطمأنني جولي بأن جميع المحادثات التي أجراها مع المقيم العام تؤكد ثباته على موقفه.

وثناء غياب ,بيير جولي, في زيارته الثانية الى المغرب التقيت صدفة بالكولونيل, lecareste , عند انتهاء اجتماع لجنة شمال افريقيا التي كانت أحدثتها فاغتنمت

هذه المناسبة لأستشيره حول المغرب, وقد سبق و لاحظت ما لشخص الكولونيل من نفوذ متميز وأنا أعلم ما له من معرفة جيدة بالمغرب اذ سبق وشغل منصبا مهما هناك, لهدا ارتأيت من المفيد الوقوف على رأيه علما بانني لا أجهل كونه غاذر المغرب على أثر حادث وقع له مع القصر, اذ حامت حوله الشبهات فيما يتعلق بقضية توزيع المناشير, ولم أعمق البحث في هذا الموضوع الذي يعد فيما يبدو من أخطار مهنة الضباط السياسيين...

وقد علمت لاحقا رأي رئيس الجمهورية السابق في القضية وهو رأي سيئ للغاية.

تبادلت بعض الحديث مع الكولونيل, وكان حديثا متعثرا أدرك من انشغالي أو بالأحرى محاولتي تقييم وضع لا يراوح مكانه بسبب بن عرفة الحاضر الغائب.

قال لي بالحرف: كل شيء متفق على الدفعة التي يمكن القيام بها على مستوى الاقامة العامة, أن الأمر يتوقف على اختيار مسؤول جديدو سألته ومن تراه أنسب لهذه المهمة؟

فأتى جوابه مفاجئا: سمعت الناس يتحدثون عن كرانفال. لم يكن سبب مفاجأتي اسم كرانفال فقد علمت من قبل أنه اقترح أثناء البحث عن رجل يخلف كيوم ولكنني لم أكن اتوقع ان يتم اقتراحه من قبل ناطق باسم الجيش.

وعندما طلبت مقابلة الجنيرال دوجدول لم يكن لهذا السبب بالتحديد, و على كل حال قررت القيام بهذا المسعى اعتبارا لشخص الجنيرال, فكانت المناسبة مواتية جدا لأطلب رايه في القضية المغربية ولأعرف وجهة نظره في اختيار محتمل لكرانفال مقيما عاما وكان, كرانفال, من احد المخلصين له.

ولما قابلت الجنيرال زوال يوم 28 ابريل...

لم أجد فيه الرجل المتكبر ولكنني وجدته بعيدا, منفصلا عن العالم, كما لو كان يسبح في عوالم اخرى وقد أفهمني بوضوح انه كان يستعد ليبقى بعيدا عن القضايا السياسية, وهو ما أعلن عنه رسميا في مقابلة صحفية اجراها يوم 2 يوليوز, فادركت جيدا ساعتها الحالة التي وجدته عليها يوم قابلته.

وبعد حديث عام تمكنت من توجيه المذاكرة معه الى ما يشغلني تجاه المغرب.

قال : ارتكب خطأ كبير, ونفي السلطان كان بلادة كبيرة, ثم رفع يديه نحو السماء وقال : مادا بقي للمرء ان يقول ماذا بقي أن تفعل؟

حاولت معرفة رأيه فيما يتعلق بإمكانية عودة السلطان أو حول أمكانية أسقاط هذا الأحتمال من الاعتبار فاقتصر على ترديد : أنا لا أدري ما ادا كان ارجاعه ممكنا, ألا أنني أعتقد أنه سيعود, أنا أعرفه لن يتنازل عن عرشه أبدا ومن يعتقدون انهم يستطيعون الحصول منه على تنازل هم واهمون, ثم ألقيت في الأخير باسم كرانفال فرد بحركة تدل على الموافقة الصريحة , أنه جيد جدا هناك رجال جيدون جدا ألا نه ينبغي وجود دولة جيدة كذلك...

وهكذا تجسدت اطروحة كرانفال في ذهن,

وخلا النصف الأول من شهر ماي زارني مارسيل بوساك بالبيت أثناء الفطور كما كان يحدث من حين لأخر, فحدثني عن القضية المغربية. لا أستطيع تحديد ما اذا كان دلك هو موضوع الزيارة, وأنها كانت مناسبة طيبة فيما بدا لي لأهاجم القلعة.

قلت يعترف الجميع بأننا عاجزون عن فعل أي شيء ما دام ابن عرفة على العرش.

قال: تسمح. وهي عادة يبدأ بها الحديث عادة.

ثم انطلق في سرد سلسلة من الأعتراضات مما دفع بي الى ذكر رأي المقيم العام في الموضوع:

قلت, المقيم العام لاكوست رجل رزين وحذر, وله علاقات مع لكلاوي وقد دافع بما في وسعه ولمدة عن موقف ابن عرفة, والأن يعترف بأن موقف ابن عرفة لم يعد في الامكان تأييده.

اندهش بوساك, مما أكد على ان لاكوست لم يعلن عن موقفه المؤيد لاختيار رجل ثالث يتولى العرش, و لكشف هدا السر لديه يتطلب من المرء قدرا من الجهد لتحليل ما كان يمطرنا به من برقيات خلا شهر يناير.

سألني بوساك, هل تسمح لي باستضافة لاكوست للغذاء عندي بحضورك, أريد أن نتحدث نحن الثلاثة بصدر رحب.

قبلت الاقتراح معتقدا أنه من المفيد القيام بنوع من الأعداد السيكولوجي. وبما أن لاكوست كان سيحل قريبا بباريس تركت لبوساك امر تحديد التاريخ المناسب لبرنامج زيارته فكان يوم 14ماي ولعله اليوم ذاته الدي حضر فيه لاكوست.

صادفت فرانسيس لاكوست في المصعد فبادرته بما يلي تقريبا :

أريد منك أن تتكلم بصراحة, وان تلح في حديثك على استنتاجك بان الأحتفاظ بابن عرفة على العرش أصبح أمرا مستحيلا. صعق, ولم يجد جوابا, فقلت له :

نعم , أليس هذا ما ورد في برقيتك لشهر يناير. قال : ولكن الامر تغير الأن.

كان يتحدث بسرعة والبهجة بادية على محياه, أعتقد قد فاته أدراك ما ألمحت أليه, أن تغيير رأيه هو ما كنت اتمناه.....قال : لقد حررت برقية ثانية وكان ينقر على حقيبة وثائق بيده, وعند باب شقة بوساك تناول من يده رزمة وريقات وهو يقول : لم يكن لدي الوقت الكافي لا رسلها اليك.

فتح الخادم الباب وأعتذر لنا عن عدم وجود بوساك لاستقبالنا, لمانع ما تغيب عن البيت, وسيعود بعد ثوان.

دخلنا قاعة الاستقبال وجلسنا جنبا لجنب, فشرع المقيم العام في أخراج وريقات الرزمة ويرقمها واحدة بعد أخرى بقلم ملون. ألقيت نظرة خاطفة على أول وريقة قدمها ألي ثم أرجعتها اياه دون الخوض معه في مضمونها, واقترحت عليه أن يعيدها ألى حقيبته وان يكون خلال ما سيجري من حديث بيننا أكثر مراوغة في كلامه.

وفي نفس اللحظة حضر مضيفنا فأغلق لاكوست حقيبته.

علي أن أشير الى أنني لم أحتفظ بأي ذكرى محددة عما جرى بيننا من حديث ونحن على مائدة الغداء, أما لاكوست فأنه لم يرتكب اي هفوة, ولكنه لم يقدم لي أي سند, وقد اخفقت في التوصل الى اقناع بوساك بوجهة نظري.

افترضت أن بوساك وقد انتبه الى ما صد رمني من تلميحات فأطلق صفارة انذار اتجاه من يهمه الامر ويحتمل أن يكون المارشال جوان. وأن فرانسيس لاكوست الذي لم يتمكن من التخلص من تردده قد مال الى تيار مؤيدي ابن عرفة, كما يحتمل أن يكون قد فهم من استضافة بوسالك له بحضوري أشارة تكشف عن توجهي الشخصي.

وأنا لا اسمح لنفسي بإصدار حكم قاسي في حقه وهو لم يرتكب خطأ, وقد حرر برقية ثانية بعد ثلاثة اشهر مرت على سابقتها, فكان ما حماته هده الرسالة الأخيرة بمثابة انقلاب في التوجه لا يدركه ألا من كان يعلم بخبايا الامور.

غير أنني ومنذ ذلك اللقاء قررت العمل على تدبير أمر استبداله. لأن تردده وتقلباته جعلتني أعتقد أن الوقت حان كي أعتمد على رجل جديد حازم بطبعه.

وفي الغد كان بيير جولي في غاية الاندهاش لما سلمه لاكوست البرقية التي أطلعني عليها بالأمس وأصبح تاريخها 15مارس. لاحظ بيير جولي مثلما لاحظت أن لاكوست في تقريره هذا قد تخلى عن نقطة جوهرية عندما اقترح الأبقاء على ابن عرفة على العرش, والحال أن المقيم العام سبق له في وقت غير بعيد أنا أشار بإبعاده.

وأن كان داك الاقتراح في صيغة غامضة اذ قال : أن العواقب الخطيرة الناجمة عن تدخل ما في هدا المجال , ستتجاوز اثارها مخاطر الامتناع عن التدخل, بينما كان يقول عكس هدا يوم14 يناير. هدا ويؤكد لاكوست على ان مقصوده من هده البرقية مجرد تحيين لما سبق وصرح به لبيير جولي في رسالة بعثها بتاريخ 5 ماي, والتي أطلعني الوزير عليها.

اما ما يتعلق بمخطط العمل المزعوم الدي قدمه بديلا لمخطط سابق فقد اقتصر فيه على اقتراح تعويض الوزير فقط, وهو رجل تجاوز عمره المئة سنة فاستحق بالفعل أن يتقاعد, كما اقترح تشكيل حكومة مغربية يكون وزراء الدولة فيها من الفرنسيين.

و بالرغم من كون بيير جولي لم يكن راضيا على موقف فرانسيس لاكوست ألا أنه ظل يكن له شعورا بالصداقة, وعزى تقلبات مواقفه الى ما كان يعانيه من تعب, لهذا استدعاه لقضاء احتفالات ancontin au Dreux.

و اثناء تلك الاحتفالات أدلى المقيم العام بتصريح يقول فيه بان مخطط العمل الذي أعده يوجد من الأن فصاعدا بين يدي الحكومة, وهو ينتظر منها الضوء الأخضر للشروع في تنفيذه. ولما عاد يوم 11 ماي الى المغرب ذهب به الأمر الى التأكيد على أن تلك الوثيقة قدمها الى مانديس فرانس, ثم بعد بضعة اسابيع قدمتها مع إضافات الى حكومة ادكارفور...

وتقدمت بها مجددا في هذه الأيام بعدما أجريت تعديلات على الخطط الأصلية فيها اعتبارا لما يعرفه الوضع من معطيات جديدة.

وحوالي منتهى شهر ماي اتفقت مع جولي على ذهاب لاكوست من الإقامة العامة. الا أنني وجدت وزيري ,جولي, شديدي التحفظ حول جلبرت كرانفال. وأنا الذي اعتقدت انني وقعت على أحسن اختيار.

طلب الجنرال , بويير دولاتور, مقابلتي حواي 15 ماي...

قال : أن الحبيب بورقيبة يستعد للعودة الى تونس, ويبدو لي هدا الأمر مقلقا.

قلت : نعلم هذا, إلا أنه أجل دلك.

قال : قد يكون هدا خطيرا جدا, وقد يؤدي الى أمور سيئة, سيئة للغاية. ثم أضاف في ابتسامة, هل تعلم أنه قرر التمرن على ركوب الخيل و يتلقى في ذلك دروسا كل يوم.

قلت: إنها رياضة نبيلة, و تسلية سليمة.

قال: أعتقد أنه ينوي دخول مدينة تونس على حصان.

قلت : ولم لا؟ وهذا يغريني بالتفكير في استضافته للعشاء.

أوقع هدوئي ,بويير دولاتور, في حيرة فغادرني وهو يدمدم.

وبالفعل دخل بورقيبة العاصمة التونسية على متن حصان.....

وقبيل عودة بورقيبة إلى تونس استضفته للعشاء رأسا لرأس ب, لاسيل سان كلود, وبعد العشاء تمشينا بضع خطوات...استشرته حول الوضع في المغرب.

قال: في مثل هذه الأزمات تجد دائما رجلا تعتمد عليه ولا يوجد إلا واحد يمكنك الإعتماد عليه. بالنسبة لتونس لديكم بورقيبة أما بالنسبة للمغرب فلا وجود لبورقيبة. فليس لكم إلا الإعتماد على السلطان المنفي ولا أحد سواه. نعم, أنتم تفضلون لو توفر لكم هناك رجل من الشعب بدلا من رجل اقطاعي.

لكن المغرب أقل تقدما من تونس, وهذا واقع, وفي تونس انا أهيء لقيام جمهورية, بينما في المغرب لا يزال الوقت مبكرا على قيام جمهورية . وبما أنكم ليس لديكم هناك إلا سادة من طينة الكلاوي و السلطان, فإنكم لن تراهنوا على الكلاوي, فما عليكم إذا, والحالة هذه, إلا اللجوء الى السلطان. مما سيؤدي إلى المحافظة ولمدة غير محدودة من الزمن على نظام الملكية هناك.

أثرت انتباه بورقيبة إلى أنني لا أستطيع إعادة السلطان إلى العرش دون إحداث بلبلة بين الفرنسيين و قد تتمرد بعض القبائل بقيادة لكلاوي فضلا عن كون لا الحكومة و لا البرلمان سيسايراني في ذلك.

قال : عليكم الإتصال به.

قلت : سيكون الأمر بسيطا لو كان بإمكاني دعوته الى فنجان قهوة ب, ماتينيون, مثل ما فعلت معك.

قال : قبل سنة كان حضوري الى , ماتينيون, يعد أمرا مستحيلا, وحتى مارتيس فرانس دي الشجاعة العالية لم يكن ليخاطر بذلك. و اليوم هاهي لقاءاتنا تبدو طبيعية, و الامر سيكون كذلك بالنسبة لسلطان المغرب. وقد يحدث هدا في وقت أقرب مما تعتقدون.

قلت مفكرا بصوت عال : في انتظار ذلك علي أن أجد مقيما عاما.

قال : ستجد دائما فرنسيين مناسبين, المهم أن تجدوا المغربي المناسب. وبما أنكم لا تتوفرون في الوقت الحاضر الا على واحد فستجدونه.

يوم19 ماي وقعت أنا و الطاهر بن عمار الاتفاقات الفرنسية التونسية, وذلك بعد اللمسات الأخيرة وقد حضر هذا التوقيع كل من جولي و بويير دو لاتور.

كما تولت الأمر في الوقت نفسه لجنة الشؤون الخارجية, بالبرلمان, فاستمعت الينا أنا و بيير و جولي وثم الحصول على ثقتها. فاجتمعت بهذه المناسبة, الأغلبية برمتها وصوت الشيوعيون ضد الاتفاقية بينما امتنع الاشتراكيون عن التصويت, وهكذا بدت الأمور واضحة في البرلمان. وغداة التوقيع أصدر بورقيبة نداء دعا فيه الى التفاهم و أكد على أهمية المنجزات الفرنسية بتونس, سواء على المستوى المادي أو على المستوى الثقافي كما طالب بالاحترام الدقيق للاتفاقات وتقدم باقتراح , أقامة تشارك حر, كهدف تسعى البلدان الى تحقيقه....

ولم يثر حضور بورقيبة بتونس ولا تنقلاته عبر البلاد من سوس الى موناستير مسقط راسة اية قلاقل كما توقع بويير دولاتور. الا أن المتطرفين من الجانبين استمروا في نقدهم للاتفاقات : الفرنسيون منهم استعدوا لمواجهتها في البرلمان ولم يكن هدا ليزعجهما على الاطلاق....بينما عبر المتطرفون التونسيون عن رفضهم لها من القاهرة. على لسان صالح بن يوسف الذي كان يريد ان تأخذ تلك الاتفاقات الجامعة العربية بالاعتبار, الا أهم ما أثار قلقي كان نداء علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال وقد تحدث فيه عن موضوع الوحدة المغاربية واعتبر تلك الاتفاقات مساسا بتصور شمال افريقيا , كمجموعة موحدة, و ألح على الجوانب الاقتصادية فرأى أن الاتفاقات منحت تونس لفرنسا, ويخشى أن تشجع تلك الاتفاقات فرنسا على توحيد الجمارك في المغرب , وهو المشروع الذي اقترحه بوساك,....لقد حان الوقت لتوجيه الضربة القاضية لمحاولة المتطرفين المغاربيين الى الاتفاق فيما بينهم.

شغلتني أمور كثيرة في الأيام الاولى من شهر يونيو....

وبرجوعي الى فرنسا قمت بأحداث لجنة للتنسيق بين شؤون شمال افريقيا فحددت تشكيلتها النهائية اذ ضمت اليها عددا من الوزراء منهم: مكلف بالجزائر, الحماية, الدفاع, ثم كاتب الدولة في الميزانية مكلف بالقضايا الاقتصادية و المالية.

وأخيرا المارشال جوان, وقد تقرر اجتماع اللجنة يوم 8 يونيو وكان جدول أعماها يشتمل على قسم هام جدا يتعلق بتقديم مخطط شامل أعده الحاكم العام ,جاك

سوسطيل, ثم يطرح ما انتهت اليه اللجنة على أنظار مجلس الوزراء يوم 15 يونيو. فكان المخطط الذي اقترحته من حيث المقاربة الكلاسيكية للموضوع من افضل ما يكون و أكثر. اذ لم يقتصر على اقتراح زيادة في حجم وسائل المحافظة على الأمن بل تضمن كدلك قسما كاملا خاص بالسياسة الاقتصادية كحديثه عن التخفيض في أثمنة مواد الاستهلاك والطاقة . وكذا اقتراح تدابير مشجعة للتصنيع. كما اقترح توسيع فرص تشغيل العمال الجزائريين بفرنسا.

وبما أن تحقيق هده المقترحات يتطلب توفير الأموال فقد كنا نتوفر عليها, اذ كانت سياسة التوسع الاقتصادي تتابع دورتها الرائعة حتى أننا أصبحنا, لكثرة ما تعودنا على دلك التوسع, لا نعيره اهتماما.

ولا بد من من انصاف , جاك سوستيل, فقد ضمن مخططه هدا, وان كان بكيفية خفية, خطاطة سياسة واسعة المدى فأعد مخططا توجيهيا ذا قيمة ايديولوجية و قانونية وذلك من اجل تحقيق اندماج بين شعوب شمال افريقيا و فرنسا, وقد وقف عند فكرة محورية قادرة وحدها على الوقوف في وجه التطلع نحو الاستقلال وكان المقصود طبعا هو منح مفهوم الاندماج هدا معنا حقيقيا مؤثرا بحيث يستطيع احداث رد فعل معاد له بين الاوساط الفرنسية حيث سعى الى الذهاب بهذا المخطط الى ان يكون من نتائجه قيام تكتل اما حوله او ضده.

وفد أخد جاك سوستيل عهدا على نفسه أن أكون أول من يطلعه على مخططاته النهائية عندما تنضج فكرتها لديه, وكذلك كان, أن صيغة اندماج تقضي على كل نية في تكريس عدم المساواة و تحمي كرامة الساكنة المحلية هي التي جعلتني أميل الى مخطط مزدوج ,يمنح, الاستقلال للمغرب و تونس , تتمة فكرة التشارك الحر بين البلدان الثلاثة, من جهة بينما يمنح الجزائر امكانية اندماجها بفرنسا.

وكنت سأتردد بدون شك قل تبني هذا المخطط لو شعرت بأني غير قادر على ضمه الى المخطط الاساس, وأقصد به مخطط , المركب الفرنسي, الذي كان ليوبولد سنغور منهمكا في اعداده في نفس الحقبة وقد أطلعني على نتائجه.

وبمناسبة اجتماع لجنة التنسيق أسر الي بيير جولي بقوله:

عليك أن تقابل , لوميجر دوبري, فقد طلب مقابلتك مرات عديدة وهو يشكو من كونه لم يتوصل بجواب ولم يفهم سبب هذه المعاملة التي يعامل بها.

قلت له : أنا لا أشعر بأية عداوة اتجاهه, بل أعتقد أني لا أعرفه او لعل لقائي به كان صدفة, وأنا على أتم الأستعداد لمقابلته. وأن كنت لا أنتظر من هذه المقابلة شيئا يذكر.

قال : سيعود الى المغرب في الاسبوع المقبل ويريد مقابلتك قبل رحيله.

قلت : فليتصل بكتابتي, لقد سمعت به مرارا بالجزائر اذ كانت له صلة قوية و غامضة ب, جون رينو, و أظن أنه يعرف , روبير ارون, وكنت اعتبره أحد النشطاء المشوشين ألا أن هذا الحكم قد يكون لا أساس له.

أكد لي بيير جولي على أنه شخصية مهمة جدا.

واستقبلته صبيحة يوم الجمعة 10 يونيو فوجدته عصبيا جدا كان وجهه قاتما و يترك لدى الناظر فيه انطباعا بأنه امام شخص يغالب غيضا مكتوما. وقدريا و فاقدا للأمل. وقد تساءلت فيما بعد ما لو كان يعاني من ضعف في ملكة الانتباه.

ولم يكن الامر كذلك اطلاقا. واذا كنت, على غير عادتي, لا أحتفظ بدكري واضحة عن ما يجري بيننا من حديث فلانه ببساطة لم يكن لدى السيد دوبري اي شيء محدد و اصيل يقرحه.

كان هدفه الوحيد هو التأكيد على سوء الوضع للغاية في المغرب بل و يزداد سوءا يوما عن يوم, وينبغي التحرك بسرعة ولكنه لم يقل كيف, فهو لم يكن يتوفر على شيء ايجابي يقترحه. و اليوم أنا أعتقد أنه كان يحركه عند قيامه بتلك المبادرة احساس غامض يقرب أجله, كما لو كان اكراها داخليا يدفعه الى انجاز برنامج ما محسوب بالأيام كانت زيارته لي بمثابة أخر مرحلة فيه.

وأنا أستمع أليه كنت أتابع حديثا كارثيا غير واضح, ولما استأذن تمكنت اخيرا من قولي له باقتناع وجدية : أطلب منك ان تزورني عند عودتك الى فرنسا.

بدا كما لو أنه هدأ و أجابني بهده العبارة تقريبا : بالتأكيد أشكرك لن أتخلف عن الزيارة.

وأدركت فيما بعد انه كان علي ان أستقبله, لقد قدم لي مصيره كما قدم لي وصفة فريدة وهي موهبته في الاقناع, تلك الوصفة التي لا تستعمل الا مرة واحدة فقط.

قتل لوميجر دوبروي

جريمة ضد التيار

كان دوبروي لوميجر, حريصا على التمسك بعاداته في التصرف حتى ولو كان خارج بيته.ودلك بالرغم من أن تنقلاته بين اماكن متعددة كانت كثيرة. من باريس الى الدار البيضاء الى الرباط....مما سيجعل منه هدفا مناسبا للإرهاب المضاد.

وقد كتب السيد W.gbot المحقق في حادثة اغتياله يقول :

يكفي أن ينظر اي ملاحظ الى الوضع الذي ترك دوبروي عليه سيارته ليعرف الحركات التي سيقوم بها هذا الرجل.

ففي يوم السبت 11 يونيو حل دوبروي بمطار الدار البيضاء وقد علمنا من التحقيق أن قدومه هذا لم تخبر به, على غير العادة, ادارة الأمن والا لكانت وفرت له الحماية على التو, هذا مع العلم ان وصوله مسجل على بطاقة مفتش المطار.

وقد قضى هدا الصناعي الفريد من نوعه يومه في الدار البيضاء بشقة له بعمارة يطلق عليها اسم , عمارة الحرية, تقع بمدار الاقامة العامة وقد أوقف سيارته بباب العمارة تاركا مصابيح الوقوف فيها مضاءة مما يعني أنه لم يكن ينوي قضاء الليلة في الدار البيضاء, اذ كان سيذهب بعد العشاء الى الرباط فلم يكن على قاتله, الا أن ينتظر خروجه. وقد علمنا فيما بعد أن التمرن على اغتياله قد تم اما يوم الأربعاء أو يوم الخميس.

وبالفعل خرج دوبروي من العمارة حوالي الحادية عشرة ليلا و برفقته صديق له يدعى كاستيل : وهو مصمم أزياء ولا يقوم بأي نشاط سياسي.

اتجه الرجلان نحو السيارة وبينما كان يستعدان لركوبها : أحدهما من جهة اليمين والأخر من جهة الشمال وهو دوبروي , ظهرت سيارة سوداء تتقدم ببطئ نحوهما, ولما حادثهما امطرت الباب الامامي لسيارة دوبروي بزختي رصاص من مسدس رشاش. وما أن رأى رفيق دوبروي السيارة السوداء مقبلة نحوهما حتى ألقى بنفسه ارضا فنجى بأعجوبة, بينما اصيب دوبروي بثلاث عشرة رصاصة من عيار تسع ميليميتر في كتفه الايسر وفي صدره. تماسك لحظة ثم انهار. بينما تسللت السيارة السوداء في الاتجاه المعاكس. وقف كاستيل ونادى دوبروي : هل أنت بخير؟ كان قميص دوبروي غارقا في دمه فك ازرار معطفه,

تمايل, تقدم خطوتين, ثلاث, ثم تهاوى على الرصيف. وفي طريقه الى الاسعاف أسلم الروح دون أن ينبس ببنت شفة, اذ لم يكن الطبيب المرافق له قادرا على انقاذه.

وقد جاء في تقرير W.gbot :

أن دقة التصويب من الباب الخلفي لسيارة من نوع 11 حصانا يعتبر انجازا هائلا.

قال اوفيد : من مسؤوليات رئيس الحكومة أن يكون على علم بأمور الناس, اذ ينبغي أن يضطلع على جميع ما يقع, في حينه مهما كان ما يقع تافها. قد يصاب وزير المالية, أحيانا بالأرق ودلك بحكم اشتغالاته ولكنه نادرا, الا في حالة وقوع أزمة وزارية, ما يفاجأ , وهو في عز النوم , برنين هاتف مزعج...

أيقظني الهاتف ليلة 11 و 12 يونيو مرات عديدة...ثم علمنا باغتيال دبورروي, أخبرنا بالحادثة لاكوست, غمرني ساعتها احساس بالدعر و بالعزم : فقد أشعرتني زيارة دوبروي الاخيرة بحدة مدى سفاهة الارهاب المضاد, وكذا مدى ترسخ ما تعانيه سلطات الاقامة العامة من ضعف, فكان علي والحالة هده أن أتخذ مبادرتين:

أن أرسل روجي جيبوت وأن أعوض لاكوست بشخص اخر وفي أقرب وقت.

وقد تحمس كل من بيير جولي ودوهاميل الى تكليف ,روجي جبوط, بالتحقيق في الحادثة فهتفنا له نحن الثلاثة ما بين الثانية و الرابع صباحا, وفي هذه الاثناء وقع حادث ذو دلالة : فما أن قام محققو الدار البيضاء باستنطاق سيمون كاستيل , الشاهد الرئيس على حدث الاغتيال, حتى أرسلوه الى باريس فأدركه ,جيبوط, بالمطار و استمع الى أقواله فلم يحصل منه على ما يفيده.

وكنت ساعتها أجهل, كما كان الأمر في مارس, ميول جيبوط اليمينية ومعاداته لكل سياسة ليبيرالية, فيما يخص مسألة المغرب, بما فيها منح البلاد تسييرا ذاتيا.

وقد اورد في مذكراته حوارا بينا اخبرني خلاله بأمر محقق يتعلق بالطريقة التي كان باشا الدار البيضاء وهو ممن عملوا بالجيش الفرنسي من المغاربة اذ قال له :

أؤكد لكم لو تركوا لي الأمر لكنت استقدمت ألفا و مئتي فارس من الجبل, وأرحتكم من هذا خلال ليلة واحدة.

كمت أنني سمعت ما يشبه هذا من مارسيل بوساك, وأنا أتعجب من كون بعض الناس العصريين العارفين بمجريات الأمور, لا يزالون يفكرون في الرجوع الى أساليب قيصر روسيا.

ومع ذلك فأنا أؤكد ان , روجير, لم يثنه عن القيام بعمله كخبير بالشرطة و بعلم الاجرام لا أراءه العتيقة و لا أيمانه بخرافة تيار لكلاوي.

وفي يوم 17 يونيو قدم, ر.جيبوط, تقريره الى بيير جولي, ذلك التقرير الذي ما فتئ يعيد فيه النظر و يتوسع في مادته حتى جعل منه كتابا. سيظهر بأسمه. ومن تقريره نتبين ما واجهه من مشاكل في علاقاته بالسلطات الفرنسية المغربية اذ اعترضت تحقيقه جبهة من المقاومة أبدت تواطؤها بالتحفظ, المقيم العام, في تقديم المعلومات بالإدارة السيئة , الشرطة الجيش ثم الادارة, وبالعرقلة كما فعل الشرطيين و القضاء حتى.

ولم يكن خلال هده الايام القليلة من التحقيق في مقدور أحد مهما كانت تجربته وذكاءه أن يتوصل الى ما يكشف عن مرتكبي الجريمة. ولا عن مدبريها, وسيختلف الأمر فيما لو افترضنا وجود شريك في ذلك الاغتيال من المقربين لدوبروي, الا ان سذاجة القتيل و دقة تنظيم حركاته سهلا على قتليه مهمتهم مما جعل ,ر.و, يكتفي في تقريره بعبارات من مثل , جريمة عصابات....او شرطة.

وقد علم في أول يوم باشر فيه تحقيقه, 13 يونيو, من وكيل الجمهورية أن التقرير المتعلق بالهوية القضائية يكشف على نوع الاسلحة المستعملة في عمليتين على الأقل من عمليات الارهاب المضاد ويثبت ادانة أحد مفتشي الشرطة يدعي , ديلريو, وهو رئيس ,فوريستر, ذلك الشخص الغامض.

فأصبح والحالة هذه من الممكن مساءلة المتهم وفضحه لولا أن قاضي التحقيق عمل ما في وسعه للحيلولة دون ذلك متخفيا بهذا , ديلرو, المتحصن خلف نظام دفاعي شكل حجرة عثرة على وجه العدالة. بل واتهم , ر.و, بكونه لفق تقرير التحقق من الهوية ارضاءا للحكومة.

كما تأكد, ر.و, في الوقت ذاته مما ملخصه حول كون مدبري الارهاب من الأوربيين, ولم يكن ذلك العقل المدبر الا الدكتور كوس رئيس منظمة , الوحدة الفرنسية, فرأى , ر.و, ان طرده من المغرب سيؤدي الى تشتيت فريق الأوغاد من رجال الشرطة الذي كان كورس يختار من بينهم من يقوم بما يقرره من عمليات, الا أن هذا الاقتراح المعقول اصطدم بجبهة رفض حتى أن المقيم العام اعترض على اقتراح المفوض الخاص لرئيس الحكومة.

و ستتأكد فيما بعد صحة ما ورد في تقرير , ر.و, ويتضح ذلك لما ضبط احد المتسكعين يدعى لويس دامياني يوم 2مارس 1975 متلبسا...واعترف تلقائيا أنه ساهم في اغتيال دوبروي, و أقر بجميع التفاصيل حول الاغتيال, فقد صدرت الأوامر عن الدكتور كورس الذي سبق و دبر اغتيال , ريتج, كما دبر العمليات الفاشلة ضد , لوستيرمون, وقد أخبر كورس من باريس بقدوم دوبروي الى المغرب في ذلك اليوم و , دامياني, هو الذي اشرف على العملية بمساعدة المدعو, كونغو, اليد اليمنى للدكتور كوس , والشرطي المدعو موليرو.

وقد صدر حكم قاس على , دامياني, جراء جريمته الاخيرة بينما متع كل من , لياجي و موليرو و لونغو, بسراح مؤقت خلال فترة العطلة القضائية.

ومن يومها لم يعد أحد يسمع بقضية دوبروي.

والتاريخ يعلمنا أن بعض القوة و الجماعات عندما تشعر بأن هيمنتها مهددة تلجأ في حالات عديدة الى القيام بردود افعال تزيد من مخاطر ضياعها, وبدلا من أن تحاول التكيف مع المستجدات فتقدم بعض التنازلات وتحدث بعض التحول في كيانها فأنها تتصلب في مواقفها و تشتط في استعمال ما تبقى لديها من سلطة , كان عليها أن تعيد النظر فيما تزعمه من الشرعية لحيازتها.

وقد ارتكب المتطرفون من التقليديين مثل هده الاخطاء. نعم, ينبغي القول أن غالبية الاوربيين بالمغرب من المتزمتين ليسوا قتلة, غير أن مجموعة قليلة منهم ينهجون طريق الدكتور كوس, وقد ساعدهم في تحضير مخططاتهم الجهنمية البليدة.

يقول , ر.و, في تقريره: من الواضح جدا أنه ليس من الممكن تغيير جميع الموظفين بالمغرب فضلا عن تغيير 95% من الافكار لدى الفرنسيين.

ولا مبالاة الفرنسيين هذه اتجاه ما يحدث من ارهاب مضاد قابلة بدورها للتفهم. اذا ما فكرنا في كونهم غاضبين و متأثرين جدا بسبب الاغتيالات الارهابية التي استأنفت بإيقاع متسارع.

وبذلك تكون دائرة المسلسل الرهيب من الارهاب و الارهاب المضاد قد أحكم اغلاقها, والمسؤولون وحدهم ,و ليس كل من هب و دب مطالبون بالقيام بالواجب, فكان عليهم أن يدركوا أن الارهاب المضاد يمثل درجة من الخطورة اكبر مما يمثله الارهاب اد يعتبر قضية تمس بالشرف الوطني, فهو عندما يحدث يبرهن على عجز السلطة القائمة على حفظ النظام داخل مجال تحركها كما يضر بكفاءتها في ممارسة مهماتها.

و فعل فاضح من مثل اغتيال أحد مواطنينا من قبل فرنسيين ينتمون على مستوى تنفيذ ذلك الفعل الى هيأة الادارة, وعلى مستوى التصور و الاعداد الى النخبة الاجتماعية لن يخلق الا أثارا كارثية بالنسبة للقضية التي يظن هؤلاء الفعلة المخطؤون أنهم انما فعلوا ما فعلوه خدمة لها.

وعندما أخبر بيير جولي فرانسيس لاكوست, المقيم العام, بأنه ينوي القدوم الى المغرب لحضور جنازة دوبروي , أصابه ذعر من هده الزيارة اكثر مما أصابه من حادث الاغتيال ذاته, فأخبر جولي أن القبطان , كيدون, اغتاله الارهابيون الثوار المغاربة ساعات بعد مقتل دوبروي, ولا ينبغي حضور جنازة أحدهما دون حضور جنازة الاخر.

و عذر لاكوست أنه بهذه الطريقة في التفكير لا يختلف عن أسلوب تفكير الدوائر الفرنسية المحيطة به, وقد فاته ادراك التمييز بين الارهابيين الدي أشرت اليه سابقا.

استدعى بيير جولي لما حل بالمغرب الصحافة صبيحة اليوم, فأدان بشدة من يشجع الارهاب المضاد ضد الفرنسيين كما شدد على ضعف تنظيم الشرطة

بالمغرب فأعلن عن اجراءات جديدة أكثر صرامة, ثم صرح بأن , ر.و, سيعود الى المغرب في مهمة جديدة.

فبادر لاكوست بتصريح تراجع فيه كثيرا عن مواقف وزيره.

وأدان جميع أشكال العنف و الاغتيال, وجميع المجرمين, كما شجب في حديثه شهرة دوبروي فقدمه في صورة باهتة جدا. وقد كان بيير جولي قاسيا على لاكوست اكثر مني, اذ كنت أقدر الضغوط التي يمارسها عليه محيط يعتبره أفراده واحدا منهم وذلك بحكم عمله في المغرب في مرحلة سابقة من حياته, وكان لاكوست يدرك دلك ويتمنى لو ينفصل عن دلك المحيط بدون ضجة أو فضيحة في ذلك الوقت الدي كان مطاليا بأن يجعل من مهامه الادارية الجديدة وسيلة سلمية لإقامة مسافة تفصل بينه و بين دلك المحيط.

وقد كنت امل, انسجاما مع مذهبي أن يتم ذهاب لاكوست في ظروف مشرفة جدا, فهو على خلاف سابقيه من المقيمين لم يعلن عصيانا ولم يكن تردده, وله فيه أعذار, مؤشرا على عدم انضباطه وهو من النوع الجيد بين القناصلة...

زيارات يوم الأحد

قضيت يوم الاحد بشقتي متفرغا للتأمل والراحة ولاستقبال بعض الزوار.

وقد جاءني , في ذلك اليوم, الجنيرال بيتوفار , يعرض علي ما لديه من تخوف مما يجري في المغرب و يحثني على التحرك, وأوضح لي انه ينوي ترشيح نفسه لمنصب المقيم العام...وقد كان من القادة القلائل الدين لهم تجربة بالمغرب والذين لم يمسهم الشعور بالعداء اتجاه ابن يوسف. فكان من النادرين جدا الذين لم تكن تصبهم نوبة من المس لمجرد سماع اسم السلطان المخلوع. كما أنه لم يكن يسعى الى نزاع مع افراد هيأته, وقد رحب باختيار كارنفال , بعد لاكوست, لما اشتهر به بحيوية ونشاط وهو وأن لم يسبق له أن كان من قادة الحماية , فلن يعوزه الحدق في التعامل مع الشؤون المغاربية.

كما زارني, روجي ستيفان, برفقة عبد الرحيم بوعبيد وهو محامي يعد من الزعماء الوطنيين الاكثر نباهة, ولم يكن يجهل لما قرر مقابلتي مع أنني كنت أخذت على نفسي تحاشي استقبال أية شخصية من الشخصيات المغربية المقيمة في باريس, نظرا لما يعرفه الوضع الداخلي بالمحمية, فأعتذر عن ازعاجي أن لم يكن احراجي, ولكنه كان مصرا على أن يعرض علي أمرا وشيك الوقوع بالمغرب غاية في الخطورة.

فكان , ولمدة من الزمن الوحيد, أول من أثار انتباهي الى مزايدات المتطرفين من القادة الوطنيين, والى قادة جيش التحرير مصرون على القيام بتمرد عسكري منسق يشمل مجموع البلاد المغربية الجزائرية, وأن الوطنيين المؤيدين لفرنسا و الأوفياء لمحمد الخامس وحدهم من يستطيع ايقاف تلك الدسائس الان. واذا تأخر الأمر بضعة اشهر دون تحرك فسيكون الوقت قد فات. و سيشتعل المغرب العربي باستثناء تونس. ولو أننا غير متأكدين من أي شيء, اذ قد يجرف الانفجار بورقيبة نفسه.

وبوعبيد و أصدقاءه مصممون على مساعدة فرنسا. حتى تتمكن في الأحداث و تمارس سياسة تطور تدريجي, نعم, الاستقلال هو هدفهم , فهو لم يكن ينوي خداعي. ألم نكن قد وافقنا على منح فييتنام استقلاله في تلك الاتفاقات التي أبرمناها مع , دواي داي, ثم أضاف مؤكدا ولم يكن في وسعي الا موافقته يمكننا أن نؤخر لبضع سنين استقلال المغرب بناء على اتفاق معمول بيننا , فرنسا, وبين السلطان الشرعي. غير أنه اذا تأخرنا في ذلك سيكون قد فات الوقت حتى لو قدمنا كل شيء لمحمد الخامس اذ سيعرف ساعتها ما عرفه , داو داي,. كما أن عبد الرحيم بوعبيد لم يخف عني وجود تيارات متعددة بين المجموعات الوطنية ليس لها توجه عسكري. فأذا تحركنا بسرعة ستلتف تلك التيارات حول محمد الخامس فيصبح ساعتها تحييد , عزل, المحاربين الثوريين امرا ممكنا.

كما كلمته, طبعا, عن النشاط الارهابي الذي يعرقل سياستي الليبرالية بالمغرب وقد كان واعيا بذلك تمام الوعي فقال موضحا : أن رجالا مثلي, وقد صعب على البعض ادراك هذا ممن ليسوا مع الاختيار الارهابي, قادرون على العمل من أجل تجنب الخطر شريطة توفرنا على وسائل الاقناع الضرورية, فالإرهاب المنتشر حاليا هو خليط : من التصرفات الظرفية الفردية التي يصعب توقعها و

بالتالي ضبطها. ومن تصرفات منظمة من قبل الجناح العسكري المتطرف. أنتم مشدودة عيونكم الى المدن, الأن تذكرت تلك الفرضيات الغامضة التي كان الدكتور ,ايجركود, يطرحها, والحال أن المدن يمكن حمايتها من الارهاب اذا طوقت. ولكن انتبهوا الى البادية التي تعتقدون أنها منضبطة بالكامل, سيكون من الصعب ضبط الغرائز هناك, ان رد فعل الفلاح الدي خبرتموه في تونس سيكون أهون مما سيقوم به رجال البادية , اولائك الفرسان المهرة البدائيين الدين تعتمدون عليهم في تكريس استمرار الماضي.

وفي تلك الفترة الحقت بديواني معاونين جدد كان صديقي الدراسة , دولافيس و فرانسيس بوري, وقد عرفتهم بكلية الحقوق...

وقد عاش دولافيس بالمغرب...فكانت معرفته بالميدان جيدة, وبما أنه عمل ناحية مراكش فقد اكتسب مناعة ضد استيهامات و سراب اسطورة التيار الكلاوي.

جيلبير كرانفال

على أثر مقابلتي للكولونيل لوكونط والجنيرال دوغول وجدت نفسي أميل الى كرانفال الا أنني لم أرد ان أتقيد بهذا الميل, فبعد الاستشارة و التفكير أصبح لدي

اختيار بين كرانفال أو مدير الشرطة Andre louis dubeis.

و استقر رأيي اذا على جيلبرت كرانفال ولم أكن على معرفة جيدة به, وقد حذروني مما يشتهر به من فظاظة و عناد. فكان ذلك هو بالضبط ما دفعني الى اختياره و انجذابي نحوه. فاذا كان قادرا على مواجهة رئيس الوزراء الذي عينه, فهو قادر اذا على الوقوف في وجه المارشال جوان ومارسيل بوساك وفيليب بونيفاص الذين لا فضل لهم عليه في توليته. كما أنني كنت أجهل تماما أراءه الشخصية حول عمق المشكل , بالمغرب, الا أنه اذا الجميع يعترف له بالذكاء فلم أكن اتصور أن شخصا ذكيا مثله محصن ضد هوس تيار الكلاوي المعادي لابن يوسف, يستطيع التفكير بطريقة تختلف في جوهرها عن طريقة تفكيري.

وفي هذا لم أكن مخطئا.

كان رد كرانفال على اقتراحي اياه ايجابيا, فقد كان مهيئا في قرارة نفسه ليتولى هدا المنصب, اذ كان يتمناه بل أن صعوبة المهمة التي سيتطلع بها كانت تثيره و تغريه.

وقد كان , حديثنا , عندما تقابلنا , رائعا اذ سعد باقتراحي له , المشروط, كما أنني كنت مسرورا بموافقته و حديثه في مذكراته عن ما يجري بيننا في ذلك اللقاء الذي لم يكن مجانبا للحقيقة اذ كتب يقول :

,,, أخبرني ادكار فور بما يعرف عنه شخصيا من تردد.

وكما لو كان يريد معرفة الى أي جهة سترجح الكفة, فبدأ يوازن ما بين الاثار السلبية التي قد تترتب عن أصلي , اليهود, وما سيجنيه من فائدة لو احتفظ بي في , منطقة سار, الى حين موعد الاستفتاء....بين ما سيحققه بإرسال رجل الى الرباط متحرر من جميع الارتباطات المحلية وبين الصعوبات التي قد تنجم عن تجربتي بالمغرب. الا أنني أدركت من مقابلتنا الأولى أن اختيار الرئيس قد وقع علي مادام هو من كان يفند اثناء المقابلة حجج الاعتراض على اختياري.

هذا هو أنا , بالفعل, من عادتي أن أفكر بصوت عال ومحاوري موجود...

وفيما يتعلق بعمق المشكل فأننا لم نثره الا لما...

يقول : وقد بدأ , أثناء الحديث, أن مشكل العرش هيمن على نقاشنا...ادكارفور يوافق على ذلك ويؤكد على أن السلطان ابن عرفة لا يملك من السلطة شيئا.

وقد كانت هذه الجزئية في حد ذاتها كافية. ولكن هناك من الناس من سيجعل منها ألة حرب ضدي.

واليكم ما جرى : في صبيحة ذلك اليوم الرابع عشر من يونيو هتف جورج أزارد , محامي السلطان محمد الخامس وصديقه الى مستشاري في الشؤون الدبلوماسية , ارموند بيرنار, وقد كان , ازارد, يتوقع تعيين كرانفال ...و الحال أن , ازارد, كان يعرف , بيرنارد, معرفة جيدة فقد درسا معا بالمدرسة العليا .

طلب ايزارد من بيرنارد ما اذا كان بإمكانه ان يرتب له لقاء بكرانفال, فرحب بيرنارد بالفكرة فأجابه على التو :

هذا جيد, ان كرانفال قادم اليوم من , ساري, ليقابل رئيس مجلس الوزراء هذا المساء. ستحضران أنت وهو العشاء في بيتي .

ولم يكن لي في كل هدا لا ناقة و لا جمل كما أنني لم أر في ذلك اللقاء أي ضرر, وكل تصرفاتي اللاحقة مع كرانفال تبرهن على أنني لم أكن مهتما اطلاقا بالعمل على جره الى موافقتي في الرأي وحتى الاتيان على ذكر اسم الكولونيل , لوكونط, أثناء حديثنا, و الاهتمام الذي أبديته فيما بعد بترتيب اجتماع له ببوساك, كان هذا يؤكد على تمسكي بأن أتركه حرا في التصرف ليحصل على , ما هو في حاجة اليه, من معلومات من أي مصدر كان. وذلك حتى يكون لنفسه رأيا, وهذا ما يظهر بوضوح من بقية حديثنا كما نقاه هو :

قلت له ستتعشى عند بينارد مع ايزارد , أستمع اليه, ثم قابل وزير الشؤون المغربية التونسية , ب. جولي, وادرس المسألة واطلع على مجموع برقيات , فرانسيس لاكوسط, وسنلتقي ثانية بعد أيام.

يقول : وأنا أغادر ادكارفور, أثرت انتباهه الى ما قد نواجهه من صعوبات فيما لو تم احتكاك بيننا و وذلك لما اتصف به من طبع عنيد و من اصراري على رفض الاحتماء وراء عدم اتخاد أية مبادرة , عند الاقتضاء, رد ادكارفور بأن هذه هي بالفعل أفضل حجة ليقع الاختيار علي.

يتبين من هذا الحديث المنقول حرفيا عن كرانفال مدى حماقة تلك التوليفة الكاذبة و السيئة النية التي أراد البعض البرهنة بها على أنني اخترت عنوة هذا الرجل المزهو بنفسه والمتشكك ليكون الأداة المطواعة التي أنفد بها سياستي السرية...الخفية جدا الى درجة أنني أنا الذي أرسلته ليأخذ التعليمات من , ايزارد, محامي السلطان و ممثله الرسمي..

هذه هي المكيدة المثيرة للشفقة التي أرادوا بها المس بشرفي و تأليب رجل ضدي كنت وضعت فيه تقتي. وما أن تركني كرانفال حتى كنت اتخذت قراري : فعينته , اذ لما وازنت ما بين محاسنه و مساوئه اخترته لمحاسنه و لعيوبه كذلك, و أنا عموما لم أخطئ في هذا الاختيار, اذ رغم خيبة الأمل التي عرفتها و رغم الأضرار التي لحقتني جراء انقلابه علي, اعتبرته أنسب رجل للظرفية التي كنا نجتازها. فهو وحده يستطيع كسر سلسلة ما كان ينتابنا من لحظات القلق كلما اقتربت الكارثة التي كنا نتوقعها.

وهناك جانب من شخص كرانفال كنت أجهله و ظللت على جهلي به طيلة الحقبة التي عرفت فيها علاقتنا اضطرابا, ولن أكتشف ذلك الجانب من شخصه الا بعد تفكير وبعدما كانت مصاعبنا قد انتهت, وأنا لا أستطيع مؤاخذته على كونه أخفى علي هدا الجانب من طباعه اذ هو نفسه لم يكن بدون شك على وعي تام به. وهو على كل حال ليس عيبا يخجل صاحبه, بل هي خاصية مشتركة بين عدد من الناس ولا تنقص اطلاقا من قيمتهم.

فكرافال من أولائك الدين لا يستطيعون الاقدام على فعل شيء من تلقاء انفسهم وهم في عزلة , عن مقربيهم, بل يستطيعون حتى أثناء حديث صريح مع من يحاورهم.

وهذا النوع من الرجال ان تصرفوا على هذا النحو, فليس ذلك عجزا منهم ولا افتقار الى الحماس, بل أن الرجل من هذا النوع في حاجة, وهو يفكر, الى التفكير

بصوت مسموع, وفي حاجة كذلك الى أن يسمع أثناء تفكيره الى من يعلق عليه, والى معاينة صدى تفكيره. وهو قادر على اتخاذ قرار و بحزم ولكن ليس قبل التداول الجماعي حول ذلك. وقد لاحظت ما يشبه هدا التصرف لدى الرئيس , كوبيه, ...تتحدث الجماعة فيتبادل أفرادها الملاحظات و التعليقات و يفكرون جماعة ثم يتخذ القرار وبعدها لا أحد يحتج منهم أو يأتي لائما.

وقد اعتاد كرانفال وهو ب , سارييه, أن يجمع حوله طاقم قيادته المصغرة. التي تضم مساعديه من الدرجة العالية, لهذا عند تعيينه طلب من هده الجماعة أن ترافقه الى المغرب وكان أهم هؤلاء, اتيان بوران دي روجيرز, وهو ديبلوماسي كبير سيعين فيما بعد سكرتيرا عاما باالايليزيه أيام دوجول, والسيد , لورنت, وقد تولى مناصب عديدة أذكر منها بالخصوص منصب كاتب عام لوزارة التربية الوطنية.

ثم باقي اعضاء ديوانه وهم , شاجيل, المكلف بالاعلام , جاك رابيرت, مفتش المالية والدي سيعين فيما بعد كاتبا عاما بالإقامة.

وواصل كرانفال العمل في تشكيل جماعي كما كان يفعل في , ساربروك, مع مساعديه الدين منحهم ثقته. فكان يقرأ عليهم الوثائق , ويعرض عليهم محادثاته, كما كان يهيئ معهم ما يتخذه من مبادرات ويطلب منهم أن يعدوا له النصوص الخاصة عندما يراسل أو يتدخل.

الا أنني, والحالة هذه, ما التقيت بكرانفال الا وكان وحده تقريبا. وأنا شخصيا لدي مساعدون كانوا يقدمون لي مساعدة ثمينة للغاية وعلى رأسهم , ج. دوهانيل, غير أنني تعودت على أن أجري محادثاتي معه رأسا لرأس يقابله بعدها دوهاميل أو جولي فلو أنني كنت ساعتها أدرك طريقة محاوري لكنت دعوت الى عقد جمع عام كما كان يحدث في الغالب, و الحقيقة أقول أنني لم أفكر في ذلك كما انه لم يقترح علي ذلك البتة.

ومن يومها أصبح السيناريو , كلما التقينا, كالتالي:

يأتي كرانفال لمقابلتي وقد شحن ليؤكد لي انه لا ينبغي معالجة الأمر بالطريقة المقررة و يجب تطبيق مخططه هو أو أحد مقترحاته, و أنه اذا لم يؤخذ برأيه , في هده المرة, سيجد نفسه مرغما على تقديم استقالته....الخ.

تحديدا يبدأ هدا النوع من الحديث مع , ب.جولي, او , دوهاميل, أو أي شخص أخر و عندما نكون معا تخف حدته فاعرض عليه وجهة نظري واسمع اعتراضاته و أناقشه نقطة نقطة, وأقدم حججا فتلين عريكته.

وبعد مدة ننهي حديثنا وقد وافقني وجهة النظر, فيبدو مرتاحا اذا لم يكن مقتنعا . ونكون قد تجاوزنا العرقلة فأتنفس أنا الصعداء ساعتها.

ثم يعود كرانفال الى المغرب ويجتمع بمساعديه فيطلعهم على ما فعل في باريس, وأثناء ذلك يواجه هجوما حسب الطريقة المعهودة. أنا لا أتوفر على أي عرض مباشر لما كان يجري ولكن من السهل علي أن اتصور المشهد :

° ولكن ألم نقل ان...زالخ.

° طبعا قلت لهم ذلك, والححت....

° ولكنك لم تكن موافقا نهائيا ؟ فأنت تحفظت؟

° قلت يحتاج هذا مهلة للتفكير؟

° بالتأكيد....أعني....

وبعدها تحرر رسالة جماعية يتم التراجع فيها عن كل الذي دار بيننا من حديث و نعود الى نقطة الانطلاق. فأستلمها وأنا في غاية الغبط ونضطر أن نبدأ من جديد.

لقد صادفت مثل هدا الطبع عند اناس اخرين نشطاء جدا ان لم يكونوا عنيفين في تصرفاتهم, رجال , وكرانفال منهم, قادرون على اثارة عشرة الاف رجل يخاطبهم او الوقوف في وجه جماعة من الناس في حالة هيجان ومن هؤلاء رجل دولة معاصر تعود ان لا يأتي اي اجتماع ما الا وقد أعد من قبل نصا مكتوبا, وعند مغادرته دلك الاجتماع و كيفما دارت المحادثات يقول :

بالمناسبة, هده مذكرة تلخص موقفي, كنت أعددتها لهده المناسبة, ثم يخرج للصحافيين ليقول : قلت أن....ويقدم لهم نسخة من مذكرته.

و نادرا ما نجد شخصا, مهما كان مظهره, منحوتا بالكامل من معدن واحد, فلو أنني أدركت من قبل هجده الخاصية عند كرانفال لكنت اقترحت عليه أن يكون مرفوقا عند اجتماعنا بمن يختار من مساعديه ولكنت احتفظت أنا بدوهاميل بجانبي حتى يكون هناك شهود على ما نقرره....فيضمنون الالتزام به.

واتصاف كرانفال بهده الخصلة هو ما يفسر و لا شك سلاسة انقياده للسيد , لينارد, الرجل الذي كان سببا في تدمير مخططه.

وحتى مساء يوم 14 يونيو 1955 لم يكن هذا الخطر يداعب خيالي بعد.

وما أن حل يوم 15 من يونيو حتى دعوت فرانسيس لاكوست لاخبره أنني قررت تعويضه. وقد كان يتوقع دلك و عينته سفيرا في الوقت ذاته فلم يكن متأكدا من هذا التعيين, ولكنني لم أودعه الا وهو مطمئن, واستمرت علاقتنا فيما بعد دون أن تشوبها شائبة.

وفي اليوم السادس عشر من يونيو دعوت لجنة التنسيق لشؤون شمال افريقيا للاجتماع, فلم تفتني الفرصة للحديث عن الحالة بالمغرب وتأتيت على ذكر اسم كرانفال, فعبر المارشال جوان عن موافقته مما فاجأ, ببير جولي, كما وافق الجينرال كونيج الذي كانت تربطه بكرانفال انتماؤهما للتيار الديكولي, وقد ظل يمتدح كرانفال في كل مناسبة مؤكدا على حسن الاختيار, كما أخبرت , بيناي, الذي تعذر عليه حضور الاجتماع الموالي لمجلس الوزراء , حيث تقرر رسميا تعيين كرانفال, فلم يبد أي اعتراض, والواقع أن إبعاد كرانفال عن , ساري, لم يكن ليغضبه وذلك حتى لا يكون في وجوده هناك مضايقا لحظة الاستفتاء الوشيكة.

ومن الخطأ الكبير أن نعتبر انطوان بيني من التقليديين المحافظين فيما يتعلق بمسألة معالجة الحماية, بل هو على العكس من ذلك, فيما يتوفر عليه من وضوح في الرؤيا ومن واقعية يجعلانه يميل نحو حل يكون في صالح السلطان المنفي الذي صادف ان التقى به يوم كان وزيرا للأشغال العمومية.

وسيصبح, بييني , فيما بعد أقل حماسا اتجاه كرانفال دون أن يعلن عداءه لسياسة الانفتاح الجارية, وان كان كرانفال نفسه قد عزى موقف , بييني, هذا الى دافع شخصي و عاطفي. ومهما يكن فقد كان واضحا أنه لا يمكن اطلاقا حدوث تقارب بين هذين الموذجين المتباينين من الشخصيات.

وقد صادق مجلس الوزراء المنعقد استثناء يوم 20 يونيو على تعيين كرانفال دون مناقشة الا من , ب, فليميكن, أسر الي أنه يتحفظ على هدا التعيين لما عاشه من تجربة مع , كرانفال, في قضايا , ساري, كما أن ,بيير جولي, بعث لي برسالة يقول فيها أنه لا يؤيد هدا التعيين وان استجاب لقراري, كان اعتراضه على كرانفال يقوم اساسا على كون هدا الاخير من اصل اسرائيلي, وهو اعتبار لم يكن له في الواقع اي تأثير على ما سيأتي من الاحداث....

استأنف البرلمان اشغاله, بعدما توقفت بسبب انتخابات مجلس الشيوخ, يوم الثلاثاء 12 يونيو, فقررت بهده المناسبة أن أقدم عرضا شاملا على غرار ما فعلته في مناسبة سابقة, خصوصا و ان هده المبادرة استقبلت بالترحيب. لقد مرت 10 ايام على اغتيال , لوميجر ديبريو, و24 ساعة على تعيين كرانفال مقيما عاما جديدا, فكان من الطبيعي والحالة هذه, أن هذه الأحداث ستجعل المغرب محط انتباه, ومثار قلق لليمين.

أحدث بيير جولي في اعتدال شديد وقد رفض الجمع في حديثه بين أنواع الارهاب الجاري في المغرب واختيار كرانفال الدي لم تكن ميوله معروفة ولا يعرف عنه الا أنه مستقل في تفكيره وفي طبعه, هذه الأمور كلها تؤشر على أن الوقت الذي كانت الناعورة يديرها حصان أعمى في دائرة مغلقة, قد أوشك على نهايته.

لم يكن في مقدوري التنبؤ بالمستقبل في العرض الذي قدمته واكتفيت بالتأكيدات وان كانت مبدئية , تزيح التشكيك في قراري على أن تونس لم تكن بلدا معزولا ولا مناسبة ضرفيه لإقامة سياسة ليبرالية, وفي المغرب كدلك, الاصلاحات فارضة نفسها و يجب الاستعداد للقيام بإلغاء تدريجي للإدارة المباشرة يفضي الى الانفتاح على بناء مؤسسات عصرية, ولكي اضمن لعرضي مضمونا ملموسا قررت الاعتماد على الملف الذي قدمه , روجير جيبوت, وقد أعده حول

الاغتيالات التي قام بها الارهاب المضاد قبل قتل, لوماجري دوبروي, الذي لم يتم البث فيه بعد فالتحقيق لازال جاريا, فتعرضت في حديثي للأطروحة التي يقدمها , روجير جيبوت, حول الدور المزدوج الذي قام به , فورست, كعميل و كاشف عن الجريمة, وهي في نظري اطروحة جيدة رغم غرابة طابعها وهي بالفعل كذلك, اذ ستتأكد فيما بعد صحة ما ذهبت اليه ولو جزئيا على الأقل , لما أضيفت عليها عناصر جديدة ظلت مجهولة حتى ذلك الحين, وكنت اعتقد أن البرلمانيين سيهتمون بما قدمته لهم من معلومات بغرض وضعهم في الصورة كما يقال, الا أن التجربة برهنت على أن الفكرة لم تكن صائبة.

لم يكن البرلمانيين على استعداد لتلقي أخبار مفاجئة لهم و محيرة, اذ كانوا يخشون قبل كل شيء أن تنال تلك الأخبار من منظومة مرجعياتهم فتخلخلها, وقد حررت تدخلي حتى يمكن احد وزرائي من مجلس الشيوخ من القاءه في ذلك المجلس بينما أنا أعرضه على الجمعية العمومية. وما أن بادرت بقراءة ما جاء في تقرير , ر. جيبوت, حتى انتابني شعور بأن بيني وبين مستمعي حصلت قطيعة فتبين لي من وشواشهم ونظراتهم المنزعجة ان حبل التواصل قد انقطع بيننا...

وفي ندوة صحفية عقدتها يوم 23 يونيو طرح علي سؤال يتعلق بالملكية...وقد رفضت رغم الالحاح في السؤال, الادلاء بموقف شخصي حول الموضوع. خصوصا فيما يتعلق بنفي فرضية عودة محتملة لمحمد الخامس , اذ لم أكن أرغب في المخاطرة بقطع وعد قد أاضطر الى عدم الوفاء به. والحكومة تعمل كهيأة متضامنة ليست مطالبة بالدفاع عن سلوك مقرر ثابت, بينما على رجل الدولة اذا التزم شخصيا بأمر ما و بدون تحفظ منهو أن يحترم التزامه .

فكان جوابي على سؤال الصحفيين بناء على اعتبار يستند على الحق القويم والعقل السليم و قلت لهم أن مسألة الملكية شأن مغربي أولا وأخيرا.

ولم يتأخر كرانفال في وضعي امام تصرف منه مخيب للآمال, اد تباطأ في اللحاق بمنصبه الجديد و اوضح لي بانه يحتاج الى وقت كاف حتى يقوم ببعض الاتصالات بباريس. اما بشخصيات فرنسية, او بشخصيات مغربية , التي لأسباب متعددو اتخذت فرنسا مستقرا لها من مثل الصدر الاعظم , المقري, الدي كان

يلقى علاجا بفيشي والكولونيل الباشا ,البكاي , الذي وان كان ممنوعا من البقاء بالمغرب فقد فضل الابتعاد من هناك لأسباب سياسية.

فكان تأخره هذا تهورا منه فضلا عن سلوكه مسلك النجوم معرضا نفسه لخبث جامعي ملفقي الاخبار ومؤلفي القصص حتى يسلطوا اهتمامهم على أبراز عيبوه الشخصية, من مثل حب الظهور, وعدم مراقبة عبارته بالقدر المطلوب, وميله الذي لايقاوم الى الاستفزاز.

كان كرانفال من أولائك الرجال الذين عندما يتصرفون لا يدري المرء ما اذا كان تصرفهم صادر عن خطأ في التقدير, أو عن ذكاء وهم أنفسهم لا يدركون الفرق بين الأمرين. واذا كانت طريقة تصرفه هذه قد نجحت أيام كان يتولى شؤون , ساري, حيث لم تكن تثير عواطف أحد فإنها لن تصدق في حالة كالمغرب حيث كان كمن يخطو فوق صفيحة حارقة.

وكان أول ما صدر عند وصوله هناك تصريح قال فيه : يتعلق الأمر بمعرفة ما اذا كان ينبغي القطع فوق الركبة أو تحتها. وهي عبارة لا يدري المرء أيكذبها أو ينتقدها, وقد واجهها كل من الكولونيل , مارسيل بوساك, اللذان حضرا عشاء مع كرانفال , فانصلحت الأمور تقريبا, ولكن المقيم سيعاود ارتكاب نفس الخطأ وبشكل أخطر هذه المرة :

ففي يوم 18 يونيو وبمناسبة حفل غذاء يقيمه كل سنة , بيير ليوطي, يستدعي اليه قدماء مساعدي عمه المارشال , أكد كرانفال بعبارة يحاكي فيها بسخرية غير مقصودة تلك القولة الشهيرة لجوزيف برودوم حول السيف الذي سمح : إما بالدفاع عن المؤسسة أو بمواجهتها, على أنه سيتصرف في توافق مع الحكومة, ولكن قد يتصرف دون موافقة مسبقة منها ادا ما دعت الضرورة, وان كان ولا بد , في اختلاف معها....نشرت الصحافة هذا الحديث فكان قنبلة أثارت موجة استنكار في الأوساط السياسية, واستفسر بعض البرلمانيين , كما ألح اصدقاء كثيرون لأقطع صلتي بهدأ الشخص الذي لا يمكن أن يعتبر أهلا للثقة, صالحا للمهمة, مادام الوقت لايزال يسمح بذلك. ولكن بيير جولي , رغم ما أبداه من تحفظات مبدئية حوله, أصر على التقليل من أهمية الحادث وقد كان حاضرا عند وقوعه. واستدعيت كرانفال في الغذ فأعددنا معا تصريحا منافقا, ملفقا و مطمأنا.

وخلال هذا التسكع التحضيري سيلتقي كرانفال بعدد من الشخصيات من جميع العائلات السياسية ومن جميع المدارس, مما يؤكد على أنني لم أكن أحجر عليه, فقابل برفقة جورج ادزارد ممثلين على مستوى القمة للتحالف بين الوطنيين وبين دعاة الشرعية كالسيد البكاي و عبد الرحيم بوعبيد , كما قابل عددا من الفرسيين الليبراليين من مثل , ب. بريسون, و الجينرال , بيلهاهوارد, وبيير مانديس فرانس و ايريك لابون صاحب الروح الليبرالية, وكذلك المارشال جوان الذي وجده جريئا و ثابتا في موقفه, وكذا الجينرال كيوم الذي لم يتعلم شيئا ولم ينس شيئا. ثم ذهب لزيارة , ايميل روش, ذي النفوذ القوي والحامي لبونيفاص, وان كان صاحب ذهن منفتح والذي قام بالطلب مني بالدعاية لكرانفال بين الفرنسيين بالمغرب....وقد و أشرت اننب قررت أن أجمع حول مائدة واحدة كرانفال و بوساك, وربما يرى البعض في هذه المبادرة قدرا من الشذوذ. الا أنني لم أكن لا فقد الأمل في دفع بوساك الى النظر الى الأمور بعقلانية, ألم يكن عقلانيا في تدبير شؤونه الخاصة؟ أوليس من الممكن اللجوء الى نفس المنهج الذي كان يسلكه مع الأخرين وينجح فيه جيدا : إلحاح متواصل.

واذا كنت لم أفعل ذلك أليس من الممكن أن أكون نادما على ذلك اليوم؟ كتب كرانفال بهذه المناسبة يقول :

لمدة ثلاث ساعات وادكارفور لم يدخر جهدا في اقناع بوساك بأن قضية العرش مطروحة, فكان جهدا ضائعا, اذ لم يكن يلق ردا على ما يقدمه من حجج الا تلك الازمة بصياغتها المعهودة : البادية الطيبة, الباشوات و القواد, الوفي ابن عرفة و الكريه ابن يوسف.....وبعد توديع ضيفه قال لي الرئيس , تخفيفا للحرج, أنه مقتنع بأنه سيتوصل يوما الى تليين موقفه.

مقتنع , لعلها عبارة مبالغ فيها, صحيح لقد كنت أمنح نفسي حظوظا , أنه شعار الاقناع, كما قال عني , روجير ويبوت, ولكن ألم يكن ظو جون موني, يقول : الحكم , إقناع؟

كان كرانفال مثلي يتأثر بإغراءات , لوكونط, فكان يشبع عينيه بعيني قط, وقد أخذ على نفسه أن لا يستدعيه الى المغرب ولو بضع ايام. كما اقترح, كوينج, عليه ذلك اذ كان يخشى من أن يثير حضوره قضية المنشورات من جديد. ولكنه استشاره حول بعض الشخصيات في الاقامة العامة. وقد كتب كرانفال فيما بعد أن , لكونط, من بعض الموظفين الليبراليين وأشار عليه لأبعاد أهم عناصر اللوبي التقليدي ومن بينهم اربعة مديرين, فكانت مشورته جيدة كما أصاب كرانفال لما أخذ بها فضمن بذلك الراحة لنفسه على بين افراد القيادة الخاصة به. غير أن كرانفال سيبدأ بعدما غادر الرباط عند اقالته وتحت تأثير هلوسة عدم الثقة التي اخدت منه مأخذها وعلى أاثر ملاقاته, لينارد, اياه, قلت بدأ يطرح تساؤلات حول تصرفات , لوكونط, فوجد رجلا غريبا و أعتقد أن هذا الميكيافيلي المنتمي الى مدرسة المحاربين العسكرية أنما كان يقصد في حقيقة الأمر الاستفزاز ومحاولة ايقاع المقيم العام كرانفال في الفخ؟؟

وهي فرضية لا تثبت عند التدقيق فيها :

اذ كيفما كانت ارتباطات الكولونيل , لوكونط, فهو يعلم حق المعرفة أنه لما حرر كرانفال من قيادة غير وفية ومستعدة للتمرد عليه, لم يزد على كونه قدم له خدمة فكان من الخطأ النظر الى لو كان على أنه نموذج , التقليدي المتطرف, خصوصا وأنه لم يشارك في مؤامرة الكلاوي في غشت 1953 , ولم يكن ينتمي الى ذلك الفريق الملتف حول الثلاثي , بونيفاس وبوساك و كوس, وأعتقد أنه لم يكن يعرف بوساك معرفة شخصية قبل حادث الضيافة المشؤوم, وكان لوكونط ذكيا جدا وعلى اطلاع بمجريات الأمور و الشيء الذي حصنه ضد الانضمام الى تيار ابن عرفة. كما كان يبحث في صدق لإيجاد صيغة للانفتاح, فلم يكذب علي عندما حدثني على ذلك, وقد كان من بين الذين اقترحوا علي كرانفال مقيما عاما, وكان شديد التمسك بنظام العالم الغربي وهو يدرك جيدا أن خطر التغلغل السوفياتي يجد مبررا له في الابقاء على هيمنة التقليديين على سير الامور وليس في العمل على تجاوز تلك الهيمنة, ولولا حادث المنشورات الشيء الذي جعله غير مقبول عند الليبراليين , لظللت أعتقد ان , لوكانط, كان يستطيع ان يتغير...ولكان قدم خدمات جلى, بما كان سيقوم به في سبيل اضعافه تلك العوائق التي كانت تزيد في صعوبة عودة محمد الخامس الحتمية.

الا أن هناك رجلا من بين الضباط الجنيرالات, وأي رجل و اي جنيرال : استقلال في التفكير وقوة في الطبع و انسجام منطقي كاف ليطالب بالحل الأوحد , عودة محمد الخامس, انه الجنيرال دوجول. وقد أصر كرانفال على مقابلته وهو لا شك يتذكر ما قاله لي في حقه , فوافق الجنيرال على استقباله. بل وافق على أن يقول به ما يعتقده حقا. فتحدث بصراحة أكثر مما كان يفعله مع من غيره, ولم يحدثني به يوم 28 أبريل عند استقباله لي بما أانني كنت رئيسا للحكومة مرتبطا مؤسساتيا بالنظام, وكعادته دائما كانت حدة الرؤيا عنده لا ترحم, فهو يرى أن لا مخرج من المعضلة غير اعادة محمد الخامس الى عرشه.

وحسب ما أتذكر, فان كرانفال كان أمامه خمسة أو ستة أيام ينظم فيها أفكاره أن لم أقل يجترها, وخلال تلك المدة ستنبث في ذهنه فكرة مشروع لعلاها ذات علاقة بالخطاب الذي ألقاه في حفل الغذاء ببيت ليوطي, وان كنت لم أتمكن من تجميع عناصر الأحجية الا بعد مدة مرت على وقوعها.

وفي اليوم السابق على رحيله زارني كرانفال, ولما استأذنني فاجئني بقوله :

هناك فعلا حل, فكرت فيه و قد ينجح الا أنني أعتقد على كل حال, أنه حل مستحيل علميا, بدلا من الذهاب الى الرباط سأتوجه رأسا الى مدغشقر لأقابل السلطان و أقول له : ضع على صدرك وسام الحرية, وسأضع بدوري وسامي اننا سنعود معا الى الرباط.

أجبته بهذه العبارة تقريبا : بالفعل انه حل مغير جدا ولكنه وأنت محق, حل مستحيل تنفيذه.

واليوم أتساءل وأنا أخط هذه السطور لماذا لم تطرأ هذه الفكرة على بالي الى الأن فيما اذا كان كرانفال , وقد أرخى العنان لخياله عندما قال : بدون موافقة الحكومة في حالة ما اذا كان الزمن لا ينتظر ذلك, بل وحتى بالإختلاف معها يخطط لتنفيذ حلمه هذا؟

ومهما يكن فان هذا التصور لحل المشاكل لم يكن كرانفال ليتوصل اليه لولا تلك النبوءة التي تلقاها من الجنيرال دوغول : ان الحل الوحيد هو اعادة السلطان الى عرشه.

فهل يمكن لكرانفال بعد هذا وهو المعجب بوضوح رؤيا الجينرال دوجول أن يلومني لما قلت له بمناسبة حديثنا عن امكانية عودة السلطان , وهل شككت يوما في ذلك.

ولكن تردد كرالنفال الناجم عن مجرد التفكير في مبادرته المثيرة ونزوله بالمطار نزول المنتصرين, لما التحق بالرباط, كان كافيا ليثنيه عن ادانة فكرة عودة محمد الخامس كما لو كان في الأمر خطر مخيف.

حل يوم ذهاب المقبم العام اخيرا وهو يوم 7 يوليوز....فكان كرانفال عند وصوله يرتدي بدلة خيطت على مقاسه...قفز الجنيرال من الطائرة ..ومرت مراسيم الاستقبال بلا أخطاء.

وكان ممن تقدم لاستقباله بالمطار من الشخصيات , موريس بابون, كان يومها كاتبا عاما للحماية يرتدي هو كذلك بذلة بيضاء رائعة من النوع الذي يرتديه الموظفون السامون, سلم عليه كرانفال فنظر اليه ثم لاحظ كم البدلة وقال :

° نرتدي نفس البدلة ..الا أن خياط بذلتي زانها بنياشين أكثر لمعانا.

° أجابه : سيدي المقيم العام... ان النياشين يذهب بريقها بسرعة تحث شمس افريقيا.

ينبغي في اعتقادي أن أعرض في هذه الملاحظة الخاصة بعض المعطيات حول حادث سخيف سيقع لاحقا عند صدور تعليمات قانونية من قبل وزارة الشؤون المغربية , التونسية الى المقيم العام, ولعل البعض يظن أن الاهتمام , لحظة, بهذا الحادث مجرد مضيعة للوقت. الا أنني أجد نفسي , والأمر يتعلق بحقيقة مهما كانت تفاهة أحدثها, الوحيد تقريبا القادر على تقديم تفسير لها شامل و أكيد. وبالتالي ينبغي في اعتقادي كشف الستار عن جميع الاشياء, ثم قد يكون خلال حقبة حاسمة من حقب التاريخ, لهذا الحادث دلالة بالنسبة لدراسة سوء التفاهم , بين المسؤولين, عندما يتمسك به و يستغله مثيروا القلاقل المتخصصون في توليف الاحداث و في الوشاية والتآمر.

ان التعليمات التي توصل بها كرانفال دون حماس والتي سيعتقد في انها متبعة, تدخل في اطار عادة ثابته متبعة كلما ثم تعيين أحد ممثلي فرنسا, خصوصا اذا

كان سفيرا, وهي وثائق على قدر من الطول عادة ما تكتب بأسلوب حذر و غامض في الغالب. لقد عين كرانفال بتاريخ 20 يوليوز ولم يتسن للتعليمات أن تكون مهيأة بهذا التاريخ ولم يتداولها مجلس الوزراء المنعقد لاحقا يوم 6 يوليوز الا مساء اليوم الأخير قبل ذهابه الى الرباط.

ومجمل ما احتوته تلك التعليمات موضوع ابعاد ابن عرفة دون أن يتخلى عن العرش وتفويض أمر الخاتم الى شخص أخر وهو اجراء يلغي تنصيب السلطان القديم, بما أن ابن عرفة لم يتنازل, ولكنه يتضمن امكانية عودة محمد الخامس الى فرنسا و الاقامة بها وذلك حتى يمكن التأثير عليه فلا يعرقل تتمة العملية, وحتى يكون ذلك ثمنا , اذا صح التعبير, لحياده.

من جهتي لم أكن أعلق اهمية كبرى على تلك التعليمات بما أنني قررت ترك كرانفال حرا في اتخاذ قراراته ولكنني لم أعترض على ضرورة احترام المسطرة المتبعة.

وقراءة نص هذه التعليمات بالمجلس لم تكن قراءة حرفية اذ لم يكن ذلك عادة متبعة, ثم أن هذه الوثيقة أتت في 45 صفحة, ولم تسلم الى كل عضو من أعضاء المجلس لأن ذلك لا يحدث اطلاقا حتى لا يتم افشاء أسرارها. لهذا اكتفى بيير جولي بشرح تلك التعليمات وان كنت لم أتذكر بوضوح ما قاله. وأعتقد أنه ظل في حديث يسبح في الغموض الفني كما يقال : وعلى كل حال فان كرانفال ليس بمن يتقيدون بحرفية النص الاداري...وقد برهن على ذلك جيدا بما أدلى به من أحاديث...متفجرة.

وخلال قلائل شهر غشت استقبل كرانفال السيد ,كاسطون باليوسكي, فأراد اقناعه بمخططه, ولما أتى الحديث على ذكر احدى معطيات هذا المخطط وهي قضية عودة محمد الخامس الى فرنسا, أكد , باليوسكو, أن احتمال هذه العودة سيثير معارضة قوية فكشف له كرانفال أن التعليمات تقول بالحرف, في حالة ما ادا قدم السلطان الشرعي سندا لمخططنا , فلن يكون هناك أي اعتراض على منحه هذا التعويض البسيط, لاحظ , باليوسكي, أنه لا علم له بهذه التعليمات, مثلما سيدلي بنفس الملاحظة روبير شومان عنما سئل عن ذلك فيما بعد. مما جعل كرانفال

يستنتج أنني و بيير جولي نتصرف بأسلوب السرية, فأخفينا عن مجلس الوزراء هذا العنصر الاساسي وبهذا ينكشف لديه جانب اخر من ميكيافيلي.

والواقع أن كرانفال لافتقاره لتكوين اداري كاف, لم يعر اهتماما لجزئية بسيطة تتمثل في كون الوثائق... حتى الأكثر سرية منها تتضمن دائما قائمة بأسماء من يتوصلون بها ومن هؤلاء وزير الشؤون الخارجية, فإننا و الحالة هذه لا يمكننا اخفاء اية جزئية من هذه الوثائق على , انطوان بيني, ولا على مساعده. فاذا كنت و بيير جولي , قد صغنا هذا المشروع الغريب لخداع جميع اعضاء المجلس فاخفيت قسما أساسيا من التعليمات الموجهة للمقيم العام فينبغي التسليم بأن , انطوان بيني, وهو زعيم المعتدلين وقد دان أحد الثلاثة المتواطئين.

مخطط غير قابل للتطبيق

قضي الأمر

وما أن ودع كرانفال الباشا الكلاوي يوم 22 يوليوز حتى كان ما بينهما قد انتهى فلم يعد هناك ما يجمعهما, غير أن المقيم العام لم ينتبه لهذا فظل يتعامل بالعقل مع شريكه الجفول لإقناعه , بوجهة نظره, الا أن الخلاف بينهما أصبح قائما. ولا أمل في تبديده كيف لا وسيد الاطلس وصانع السلاطين أصبح يدرك أن المقيم العام الحالي ليس من نفس طينة المقيمين السابقين. كما تيقن الباشا, بما يتوفر عليه من قوة الملاحظة ومن حدس, حقيقة ما اختاره كرانفال قبل أن يتوصل هذا الأخير الى ادراك ذلك ولما يعي تمام الوعي بعد اختياره هذا وكذا كل ما يترتب عليه من نتائج. وقد كانت تلك الزيارة المثيرة التي قام بها البكاي الممثل الرسمي للسلطان المخلوع الى الرباط بدعوة من المقيم العام دليلا قاطعا على اتجاه تفكير كرانفال : فهل كان سيقدم على تلك المبادرة والمخاطر و لو لم يكن هو على استعداد لتبني حل مجلس التاج, وهو ما يقايض به ابن يوسف, الا أننا , والحال هذه, يمكننا أن نفترض و وكثيرة هي التقاطعات المؤشرة الى ذلك, ان الكلاوي كان ينتظر جولة المقيم العام قبل أن يستقر على رأي محدد و نهائي حول الموضوع, وما أن انتهى يوم تلك الزيارة التي اعتبرها اختبارا لصحة تخمينه, وقد صح, دون أن ينال ذلك من رباطة جأشه الفولاذية, حتى ازداد يقينا فلم يعد في ذهنه أي مجال للشك في كون كرانفال ليس ممن يمكن كسبه الى جانبه, لهذا لم يعلق اهمية كبيرة على اتصالهما الاخير.

اهتمام لا مثيل له

وعبثا حاول كرانفال اقناع الباشا الكلاوي, حتى دفع الحاحه في ذلك بأعضاء, اوراس, الى تقديم عريضة ضد عودة محمد الخامس...وكان كرانفال يعتقد حقيقة في أن الحل القائم على تأسيس مجلس التاج و يستطيع تجنب ارجاع السلطان الى عرشه او يستطيع ارجاء ذلك على أقل تقدير. ها نحن أمام مشهد حاسم لكن لا فائدة منه, تجري وقائعه في ديكور اقطاعي وتعرض فيه, و بعد مرور حقبة مأساوية, بعض ملامح اسلوب كوميديا ,تقدم في شكل مسرحي , طباع الشخصيات لنتخيل حوار الصم هذا, بل هو بالضبط مجرد مونولوج أمام من

يتظاهر بالصمم, أي السيد الكلاوي الاقطاعي الذي يتظاهر بالعياء ويقول كلاما متقطعا ولا معنى له, ولكنه يبرهن أن قائله مهتم باندفاع المقيم العام في التفكير و أطنابه في الحديث, ذلك الاهتمام النادر الذي يصدر عن اناس لا يفهمون ما يقال لهم.

و الكلاوي لا يفهم ما يقال له ولكنه يدرك ما لا يقال له, وهو يعلم أن مخاطبه قد اختار, ودون أن يقول له ذلك, أو سيختار مجلس التاج حلا : كما يعلم سواء أقال ذلك المقيم العام أم لم يقله, وسواء اعتقده ام لا, بأن مجلس التاج سيؤدي الى عودة السلطان المنفي الى عرشه, لأن تلك العودة سيكون هو الكلاوي من يقررها.

ومنذ ذلك المساء من اليوم التأني من شهر يوليوز انقطعت اسباب التواصل بين المقيم العام والكلاوي, وأعلنت الحرب بينهما, ومنذ ذلك المساء اصبحت عودة محمد الخامس أمرا محسوما على المدى القريب.

الكلاوي يهاجم

ومباشرة بعد توديعه للمقيم العام رسم الكلاوي خطة حملته, فاتخذ مبادرة العمل على واجهتين : أوفد ابنه ابراهيم الى باريس ليستنفر أصدقائه و هم : مارسيل بوساك, اندري لينارد, والمارشال جوان الذي كان متغيبا عن باريس فلم يتصل به ابراهيم, فترك له رسالة حفزته فوجه الى رسالة يوم 25 بيوليوز.

أما الكلاوي فزار الرباط, والحال أنه سبق و أكد لكرانفال على أنه لن يذهب الى هناك الا بعد انتهاء المقيم العام من جولته كما خطط لها, أي بعد 10 ايام, وفي الرباط التقى الكلاوي بالسلطان ابن عرفة وتباحث معه أو بالأحرى لقنه اقتراحاته. وحسب هذه المحادثة المشبوهة : كان على ابن عرفة أن يقدم للمقيم العام لائحة بأسماء من يمكن استوزارهم ثم كان على ابن عرفة, باعتباره السلطان الشرعي المنصب من قبل فرنسا تحديدا, أن يكتب رسالة رسمية الى رئيس الجمهورية الفرنسية يطالب فيها بحمايته. ولما غادر الكلاوي المشور, أدلى بتصريح للصحافة استدعاها لهده الغاية, وقد كان لهذا التصريح هدف وحيد,

وان كان ذلك أمر سيتأكد أمره صدفة, وهو اعلان بن عرفة عن رغبته في البقاء على العرش لقد أكد لي السلطان رغبته في البقاء على رأس المغرب.

وفي يوم 14 يوليوز بقي كرانفال مشدوها عند قرائته الصحف, فعلم منها بقدوم الكلاوي الى الرباط وقد كان يظن أنه مقيم بمراكش ولن يبرحها, وبزيارته للقصر وتصريحه للصحافة عن ارادة مولاي ابن عرفة. وقد كتب كرانفال معلقا : هذا حديث يختلف كثيرا عما قاله لي السلطان شخصيا. كما التقط في نفس الوقت اشارة تقول قد يكون لكلاوي والسلطان حررا معا رسالة الى رئيس الجمهورية.

وهكذا أصبح كرانفال يعير أهمية كبيرة لتلك الرسالة قبل تحريرها, وأما وقد أصبحت حقيقة فلم يلتفت اليها : نسجل من الأن هذا السلوك الشاذ :

فماذا فعل كرانفال؟ سيحضر طبعا الى القصر بعد الزوال من ذلك اليوم.

فاستقبله ابن عرفة كما لو أن شيئا لم يقع بل استغل مناسبة زيارته ليقدم لائحة, وهي في الواقع غير صالحة, باسماء 85 مستوزرا أعدها مع الكلاوي بالأمس.

ومباشرة بعد هذه المحاولة البروتوكيلية سيشرع المقيم العام في التحرك. فعقد مع البكاي و الوطنيين عقدا حقيقيا على أساس تلك المقدمات التي سبق و بحثوها معه. فاستقبل كرانفال وبرفقة البكاي دائما, الذي يعتبر العامل الحقيقي على حل قضية محمد الخامس ممثلين عن كل من حزب الاستقلال, وعن حزب الديمقراطية و الاستقلال. وقد قدموا جميعا الى باريس لهده المناسبة.

ودون أن ينتظر كرانفال موافقة الحكومة, ولكنني لم أفكر اطلاقا في انتقاده اذ هو يتصرف وفقا لروح ما جرى بيني و بينه من محادثات, اتفق مع المتمسكين بالشرعية ومع الوطنيين على أساس الحل المقبول, ان لم يكن أوحى به السلطان المقيم في مدغشقر, ويقوم الاتفاق على مجلس التاج, وتأسيس الحكومة المغربية, مع امكانية قدوم محمد بن يوسف الى فرنسا للإقامة بها.

وقد بلغت الامور درجة من التقدم, ثم التوصل فيها الى اقتراح أن يتكون مجلس التاج من ثلاثة اعضاء كما وراج في تلك المباحثات تداول اسم الفاطمي بن سليمان كرئيس للحكومة المغربية.

وهنا أشير, الى أن كرانفال أضاع يومين ثمينين بمغامرته في مكناس, اذ في الوقت الذي كان مشغولا بالزيارة لهذه المدينة كان انصار لكلاوي ناشطين في الرباط و باريس.

وفي اليوم الموالي لعودة كرانفال للرباط 28 يوليوز قام بزيارة للصدر الأعظم المقري الذي كان محور تركيبة مجلس التاج, ففوجئ كرانفال لما لاحظ بوادر تردد المقري , ذلك التردد الذي عزاه بحق الى وجود مناورة يقوم بها الفريق الخصم.

وفي نفس اليوم علم كرانفال عن طريق التصنت بالتأكيد, وان لم يتوفر الدليل على ذلك, بان ابراهيم يزعم أنه توصل بمعلومات من مصادر باريزية , وحسب ما ورد فيها أن الحكومة قد توصلت الى تحديد سياستها ومن أهم ما تضمنته تلك السياسة : فراغ العرش , وتشكيل حكومية مغربية متوازنة, وعودة السلطان المنفي الى فرنسا. و بهذا يكون ابراهيم علم بمحتوى مخطط كرانفال, بينما الحكومة لم تكن حتى ذلك التاريخ على علم به بعد. وزيادة في التدقيق يقول كرانفال أن محادثيه يعتمدون على رد فعل اليمين وعلى هجوم مضاد للكلاوي وذلك من أجل أصدقائه ومن أجل مكانة فرنسا.

وبعودة ابراهيم من فرنسا توفرت وسائل القيام برد الفعل المضاد, فهو لم من هناك خاوي الوفاض كما أنه لم يحمل في جعبته مجرد كلام, بل عاد حاملا رسالتين حررتا في أسلوب ممتاز بباريس, كاتبهما حسب كرانفال هو السيد اندري لينارد محامي بوساك.

و كان المطلوب من باشا مراكش التوقيع على احدى الرسالتين, وهي موجهة الى رئيس مجلس الوزراء, اي الي, بينما يوقع ابن عرفة الرسالة الثانية وهي الأهم و يوجهها الى رئيس الجمهورية. اذ لم يعد الامر مجرد تحرك تافه وانما أصبحنا أمام رمي حقيقي للقذائف.

وتحمل رسالة ابن عرفة الى ,كوتي, بتاريخ 28 يوليوز 1955 الموافق 8 ذي الحجة 1374 الا أنها لم ترسل الا أسبوعا بعد هذا التاريخ. ولعل هذا الفاصل من الزمن حسب بدقة, اذ ظل المتآمرون يحتفظون بقنبلتهم هذه الى أن يفجروها في

أنسب اللحظات, فوقع اختيارهم على يوم 4 غشت ليرسلوها , اي يومان بالضبط بعد وصول تقرير كرانفال يوم 2 غشت.

وقد مرت مراحل عدة ما بين 28 يوليوز , تاريخ كتابة الرسالة, و الهجوم الثاني من شهر غشت , تاريخ تسليم تقرير كرانفال, تستوجب استعراضها هنا اذ كنا نريد تتبع الحدث حتى لحظة انفجاره.

فس يوم 29 يوليوز أجرى كرانفال بالرباط محادثات مع مساعدي و مستشاري رجل تقني و هو , روبيروت بلوت, الذي بعثت به اليه بناء على طلبه , والواقع أن كرانفال كان يفضل جاك دوهاميل الا أن سفر مدير ديواني الى الرباط سوف لن يمر دون اثارة تعليقات كنت ساعتها في غنى عنها, وقد كان كرانفال يرغب في اقامة صلة مباشرة بيني و بينه, وأنا أيضا كنت أتمنى ذلك, الى ان كل منا كان يتحرك وفق لزاوية رؤياه الخاصة والحال أن رؤيتنا لا جامع بينهما.

وقد كنت أريد حث كرانفال على الهدوء و السرية, وعلى التريث لأن احداث مراكش و مكناس الدامية يستغلها المتطرفون بذهاء في حملاتهم الصحفية ضد ه, مما خلق جوا مشوبا بالتوتر و الاستنفار و التعبئة في الأجواء البرلمانية, فكان علينا أن نتمكن من ربح فترة العطلة البرلمانية مسألة بضع ايام, ولكن كرانفال لم يرد فهم ذلك. فحيث لم يكن الأمر لا يتطلب الا تقديرا بسيطا لموازين القوى في البرلمان و اختيار تكتيك, كان يرى هو في ذلك مجرد عملية اجرائية و تهربا وليونة, و الافتقار الى العزم, اذ كان هدفه الشخصي هو دفعي الى التصديق على تسرعه و نقل عدوى حماسه الي, والاسراع في تنفيذ مخططه...والذي لم يكن مهيئا بعد.

وكان يوم 30 و 31 بوليوز يومي الاحتفال بعيد الاضحى, وقد ترك لنا كرانفال وصفا مؤسفا لما يعيشه ابن عرفة من عزلة تثير الشفقة.

عرفت أيام العيد عنصرا إيجابيا و مشجعا, اذ بينما كنا نتوقع حدوث اضطرابات خطيرة خلالها, لم يقع شيئا تقريبا لأن الوطنيين كانوا متحكمين بزمام الجماهير وكمشاركين في اللعبة. والذين كانوا وراء الفوضى التي حدثت بمراكش هم محركو الارهاب المضاد من الاوربيين.

وفي 31 يوليوز أصر كرانفال على استقبال الكلاوي على الغذاء فسر كثيرا لما وجده منشرحا, طيب المزاج حتى أن كرانفال سجل في مذكراته ما فاجئه به الكلاوي مما اعتبره تحولا في مواقفه :

يقول, صرح الكلاوي فجأة أن المراهنة على ابن عرفة أصبحت مستحيلة, ثم أضاف في عبارة ودية, وعل كل حال الغلطة هي غلطة من سبقه.

والحال أن كرانفال لما كان بمراكش قبل عشرة أيام حاول ايجاد سبيل للتفاهم مع الكلاوي فلم يلق تجاوبا , والواقع أننا كنا ندرك ان الكلاوي عندما يتقدم باقتراح ما فإنما ذلك بهدف المراوغة و بدون اثارة انتباه احد واحراج كرانفال, اذ لما اقترح بأن يعين سلطان جديد, يختاره العلماء من بين ستة اسماء, فلكونه أن كرانفال لن يسايره في ذلك.

و الكلاوي انما يقصد باقتراحه هدا تحديدا رفض الحل القائم على أحداث مجلس التاج, اذ يرى , وهو المتمسك بالتقاليد, في ما يفرضه الذين أمرا واجب اتباعه, وبهذا يتفق مع دعاة الشرعية حول هذه القاعدة الأساسية , وأن كان يختلف معهم عند تطبيقها. فهو أصولي فيما يتعلق بهذا المبدأ وان أبدى تسامحا فيما يتعلق بختيار من يقوم على العرش, ولهذا في رأيه يقتضي ذهاب ابن عرفة تنصيب سلطان جديد مباشرة.

ومن يومها أصبح الحوار بين الرجلين شبيها بحوار بين الصم. فانقلبت كوميديا عرض الشخوص الى مهزلة يغالي كل منهما في اقتراحاته ويستفز محاوره : افعلوا اذن ما فعله الانجليز مع الماو, قدف الكلاوي في وجه محدثه, فلم يجد كرانفال للرد عليه الا اثارة مشكل المرأة المغربية , فعقب الكلاوي قائلا أن جريمة ابن يوسف هي شروعه في تحرير النساء.

وفي باريس كان أول تأثير لحملة المتطرفين المسعورة هو دعوة بيير جولي أمام لجنة الشؤون الخارجية بالجمعية الوطنية و ذلك يوم 30 يوليوز اول ايام عيد الاضحى, وقد أحرجه مهاجموه في ذلك الاجتماع حتى أوقعوه في مأزق, فأكد على أن عودة ابن يوسف غير واردة نهائيا. وقد كتب كرانفال أن هذا التصريح أثار انفعالا شديدا في المغرب مما اضطره الى تطمين زواره الذين أتوه مستفسرين.

وأنا شخصيا رفضت التصديق على التزام من هذا النوع, واكتفيت بالتأكيد على أن مشكل العرش ينبغي ترك أمره للمغاربة وكفى. بل ذهبت الى حد القول أثناء عرضي أمام اللجنة أن شكوكا تراودني حول امكانية ابقاء ابن يوسف بعيدا عن العرش, ثم تدخل بعدي , ج.بيدولت, لينعش الحديث حول هذه القضية.

ولم ينته المشهد عند لجنة الشؤون الخارجية, بل سيضطر, كل من السيدين , بيني و دوشي, أثناء اجتماعهما الى الوعد بأن محمد الخامس لن يقيم بفرنسا الا بعد الحصول على موافقة رسمية من البرلمان كما التزما زيادة في التأكيد باحتمال استدعاء اللجنة الادارية لمجموعات المعتدلين بهدف التفكير في تقديم استقالتهما من الحكومة في حال حدوث خلاف حول الحل المراد اتخاذه.

ومساء نفس اليوم كلمني بيير جولي عبر الهاتف و هو لا يزال تحت وطأة ما حدث باجتماع لجنة الشؤون الخارجية كما كلم كرانفال وقد علم بفشل , بلوت, في مهمته . ليقنعه بالتعجيل في ارسال تقريره....

وادراكا منه بأنه يخاطب اذنا صماء, أخبره بأنه سيبعث الى الرباط شخصا من أعضاء ديوانه وهو السيد ,مورجو مارك ادموند, المعروف بكفاءته العالية أملا بذلك الحصول على موعد مناسب لإرسال ذلك التقرير.

وعلى عكس ما كنا نعانيه, كان كرانفال يبذل ما في وسعه ليزداد الوضع حدة. حتى ان المرء ليشعر من خلا حديث كرانفال عما وقع وكأنه مبتهج للمقلب الذي أوقعنا فيه. يقول :

هل أتنازل؟ هل أقتنع؟...انخفض عدد البرقيات الموقعة. وغذا صباحا عندما يأتي ,مورجو, الى مكتبي سأخبره بأن برقيته كانت في طريقها الى باريس وذلك في الوقت الذي استقل الطائرة متوجها الى الرباط.

استلمت تقرير كرانفال في اليوم الثاني من غشت, وأذكر أنني تصفحته في نفس المساء.وفي الغذ , وكان يوم أربعاء , ناقشته مع ريني كوتي. فخرجنا بانطباع ايجابي مشترك.

لم يكن لدي اعتراض على الحل المقترح في عمقه و يتضمن مجلس التاج , حكومة مغربية, واقامة محمد بن يوسف في فرنسا دون مطالبته بالتخلي عن

العرش مع التزامه بالامتناع عن القيام باي نشاط سياسي, وهي مجرد صياغة نظرية, اذ اصبح واضحا أن مساهمته في ايجاد حل , بالنسبة للحكومة الفرنسية نفسها, ولن نتاخر في طاب ذلك منه. وقد حرر تقريره هذا بكيفية رائعة تذكر بكتابة المتفوقين في كبرى المباريات. الا أنني شعرت في قراءتي الاولى بشك قوي يراودني فيما يتعلق بإمكانيه الاستجابة لذلك الالحاح المزدوج الذي يطالب به كاتب التقرير و المتعلق بتحديد تواريخ , انجاز ما ورد في التقرير, وكذا المتعلق بالشروط الت ينبغي رفعها في وقت واحد.

قنبلة هادئة

2 غشت , طلقة انذار,

موافقة متزامنة لكل من ابن عرفة المقيم في الرباط ومحمد بن يوسف المنفي بمدغشقر وذلك يوم 20 غشت, بعد التفاوض معهما...

ينبغي الاعلان عن اتفاقهما في وقت واحد, كيف يمكن الاحتفاظ بسرية ارسال وفد من عدة اشخاص الى مدغشقر. وكذا بسرية الحد الادنى من اللقاءات الضرورية للتوصل الى اتفاق مع ابن عرفة بعد التفاوض معه على اساس اتفاق مع اتفاق مع محمد بن يوسف لو يحصل بعد؟

وكل ذلك في وقت واحد؟ وفي نفس الشروط من السرية؟ والحال أن ابن عرفة يعيش تحت حراسة مباشرة لألذ أعداء العملية برمتها؟

ومهما يكن فان اطلاع الجمعية الوطنية المنعقدة في اليوم الخامس من شهر غشت على التقرير في مجموع او على جزء منه لم يكن واردا. بل و كذلك لإثارة الموضوع أمام مجلس الوزراء قبل هذا التاريخ, ولم أجد صعوبة في الاتفاق مع , ريني كوتي, على دعوة المجلس للاجتماع يوم السادس من غشت, وقد كان عليه أن يبث في جميع المشاكل العالقة قبل حلول العطلة بالبرلمان وان يتخدد تدابير حول المغرب بالخصوص, هل سنقوم بمداولة شاملة بالمجلس على أساس هذا المخطط؟ أم , وهو ما كنا نميل اليه, نرجئ اتخاذ القرار في ذلك الى اجتماع مصغر؟ اقترحت أن أتداول في هذا صباحا مع رئيس الجمهورية قبل افتتاح الجلسة.

ولكن ما ان توصلنا الى هذه النقطة حتى كانت الأمور قد اتخذت مسارا جديدا تماما.

برمج المتآمرون هجومهم المضاد بدقة متناهية فكان مكتبي أول اهدافهم, وذلك في نفس اليوم الذي تسلمت فيه تقرير كرانفال, وهو يوم الثلاثاء 2 غشت, وقد طلب ابراهيم الكلاوي مقابلتي , فاستقبلته في الحال و سلمني رسميا ظرفا يحتوي على وثيقة. موجهة في الأصل الى الجنيرال كونيك, لقد أخطأ الرسول التعامل مع ما يحمله من رسائل, وان كان لا اهمية لذلك اذ كان المقصود تسليمي رسالة الكلاوي وهي الأن أمامي على صفحات الجرائد.

والواقع أن هذا لم يكن الا مجرد انذار, ولم تكن الرسالة تتضمن, باستثناء محاكمة كرانفال, الا جملة واحدة ذات اهمية مزدوجة الدلالة و تقول : انمولاي ابن عرفة لا يمكنه التنازل عن العرش الا في حالة تعرضه لضغط خارجي غير مقبول, واما في حالة وقوع ذلك وهو احتمال لا يصدق , يكون من الواجب اختيار سلطان جديد حالا, يختاره حسب القواعد المتبعة زعماء تقليديون, وزعماء دينيون.

وأنا لم أعر هذا التحرك الا أهمية تافهة. لأنني افترضت يوما ان كرانفال قادر على زحزحة الكلاوي عن موقفه معتمدا في ذلك على مجهوده الجدالي. وبالنسبة لي لم يكن لسيد الاطلس, رغم ما يتمتع به من نفوذ و ما يتوفر عليه من وسائل, من صفة رسمية اخرى غير صفة باشا مدينة كبيرة. وبما أنني قد تسلمت 3 ايام بعد هذا رسالة صادرة عن السلطة الرسمية الحقيقية, في البلاد, فإنني محوت من ذاكراتي هذا الحدث , الانذار الاول.

ولكن كرانفال تصرف اتجاه, رسالة الكلاوي, بشكل مختلف : اذ بعد مرور سنة على هذا سيعود في كتابه الى تلك الحقبة الاولى فيوليها أهمية خاصة فيقول:

تم اختيار الميدان بعناية, كما كانت الطلقة في اصابة الهدف, لقد كان مخططي يقوم في جزء كبير منه على الانسحاب الطوعي للسلطان, وهذا في الواقع هو شرط انطلاق المخطط في مجموعه, واذا لم يتحقق ذلك فليكن بموافقة الباشا على فرض أنه لن يقف صراحة ضد المخطط.

وهذا التعليق يتيح لنا ادراك غرابة تصرف كرانقال اتجاه تلك المحاور الجوهرية المتمثلة في رسالة السلطان القائم مولاي ابن عرفة, والتي سيقول عنها كرانفال في كتابه : هذه الرسالة لا أهمية لها.

ولنأت الأن الى مسألة استلام هذه الوثيقة. و نظرا للتعتيم الذي مارسه كرانفال عليها, نرى من الضروري تتبع مسارها بدقة.

4 غشت , القنبلة..... الهدئة

ان الرسالة وصلت الى الاقامة العامة يوم 4 غشت بعد الزوال وقد سلمها الحجوي شخصيا الى مدير الديوان يقول كرانفال : هناك حادث أخر:

سلمني رئيس البروتوكول الملكي عبد الرحمن الحجوي يوم 4 غشت رسالة مؤرخة ب 28 يوليوز, كان السلطان يريد تسليمها الى رئيس الجمهورية بواسطتي. وهده الرسالة في حد دالتها لا أهمية لها.

ثم تسلمها , ماروتيني, في شكل برقية في نفس اليوم على الساعة الواحدة و نصف تحت رقم 7703,7701 مذيلة بالتعليق التالي:

لقد كتبت الى جلالته معبرا له عن اندهاشي لما علمت من تصريح الكلاوي للصحافة بوجود هذه الرسالة قبل توصلي بها.

والحجة الواردة في رسالة السلطان تقوم على نفس الاعتبارات المشبوهة التي يقول بها باشا مراكش مما لا يترك مجالا للشك في كون المصدر الموحى برسالتيهما واحد.

وانا سأقابل السلطان غدا صباحا فأحاول بهذه المناسبة كشف ما يعبر في هذه الرسالة عن موقفه بالتحديد من ما يعود أنه مجرد مناورة ما هو الا أداة لها.

كما تؤكد البرقية في الاخير على ان جميع الاستعدادات اتخدت ليصل اصل الرسالة الى , ريني كوتي, يحمل اليه السيد , مورجو, الذي سيكون بباريس غدا صباحا.

يمكننا الافتراض أن , مورجو, سلم بالفعل الرسالة الى الإليزيه يوم الجمعة 5 أبريل بما أن مدير ديوان , ريني كوتي, السيد , ميرفييو, سلمها الى السيد , دوهاميل, الذي وضعها على مكتب الرئيس بداية زوال نفس اليوم.

نتساءل, والحالة هذه, كيف ظن كرانفال انني لم تكن بحوزتي هذه الوثيقة عندما اجتمع المجلس يوم 6 غشت.

وفي هذا الصباح تناولت الغذاء مع , بيير بريسون, مدير جريدة الفيكارو بمطعم فيرساي , تريانون.

وقد كان السيد , بريسون, على اطلاع جيد بالقضية المغربية و يتابع مجهوداتنا في حلها بحماس و اقتناع.

ومن هناك قصدت مباشرة الجمعية الوطنية اذ كان علي أن احضر اخر جلسة في هذه الدورة واقدم عرضا نهائيا كالعادة.

ولم يفتني, في هدا العرض, أن اثير مشكل المغرب مثلما فعلت بالأمس في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية, الا أنه لم يكن في الامكان الحديث عن مخطط كرانفال, المقرر أن يبقى سرا الى أن تتجمع كل عناصره.

اما بالنسبة لرسالة ابن عرفة فلم أكن على علم بوجودها بعد. وكان على ابن عرفة ارسالها لو أن ملهميه رأو فائدة في ذلك وهو ما لم يفعلوه لا الأن ولا لاحقا. ولهذا أنهيت حديثي أمام الجمعية الوطنية محصورا في التذكير بالمبادئ التي يقوم عليها عملي مع اضافة بعض الإشارات الظرفية. وتقرر عقد مجلس الوزراء يوم السبت 6 غشت على الساعة التاسعة و نصف.

وعند التاسعة كنت بمكتب رئيس الجمهورية حيث تبادلنا بعض الهمهمات ونحن مذهولين. لقد قطعت رسالة ابن عرفة الطريق عن أية امكانية لمباشرة تطبيق مخطط كرانفال. وهوما كان يهدف اليه بإرسالها الى الرئيس.

فاذا كان أول عنصر في هذا المخطط ونقطة انطلاقه هو الحصول على موافقة ابن عرفة بكل حرية, ودون ضغط, فها نحن امام نص رسمي مختوم وموقع من قبل المعني بالأمر يعلن فيه رفضه التخلي عن العرش. أن أي شخص عاقل لن يكون رد فعله و الحالة هذه مختلفا عن تصرفنا, مع هذا المخطط. طالت جلسة الجمعية الوطنية : لقد هيأ لوبي ابن عرفة الميدان بها على أحسن ما يرام.

كما أبدى عدد من الوزراء رغبتهم في التدخل أكثر من مرة. فهاجم كثيرون كرانفال في هفواته, في خطبه التي تنتهي بإثارة الفوضى و بحمام من الدم, في اتصالاته بالوطنيين, وخططه المزعجة و المجهولة.

بل حتى شخص محمد بن يوسف و ما يثيره من انفعال سلبي صار محور المسالة...وقد أثار موضوع احتمال اقامته بفرنسا قلق بعض السياسيين اكثر مما اثاره مصير المغرب و مصير فرنسا بالمغرب.

كما اثيرت من هذا الجانب او ذلك رسالة الكلاوي و لكنني كما اتفقت مع الرئيس , كوتي, امسكت عن الخوض في موضوع رسالة ابن عرفة الأكثر أهمية.

وقد كان نشر هذه الرسالة عبر الصحافة أمرا ممكنا ولا شك فيه. ولكننا , لو حدث ذلك, سنبرر سكوتنا عنها بالتذكير بمسألة السرية, أو على الاقل بالحذر الواجب اتخاذه في مثل هذه القضايا. ثم ان التداول في موضوع الرحيل المحتمل للسطان قبل وقوعه قد يعتبر سلوكا عديم اللياقة لديبلوماسيتنا.

وبما ان اتخاذ قرار عاجل اصبح أمرا مستحيلا, فلا داعي اذا للإسراع بالأمور. كما انني لم أستهجن كون جلسة الجمعية الوطنية, هذه تحولت الى مناسبة لتصريف الانفعالات المكبوتة.

اما أنا فكنت خلالها افكر وأهيء مخططا بديلا لمخطط كرانفال.

فاذا كنا عاجزين عن تنفيذ اجراء ما قبل 20 غشت هذا التاريخ الطابو المخيف, فإننا على كل حال, نستطيع مباشرة تنفيذ مسلسل من الاعمال ينبغي الانتهاء منها في أقرب وقت ممكن بعد ذلك اليوم, وينبغي لهذا النهج أن يتيح لنا امكانية الاعتماد على تعاون الوطنيين المعتدلين و كذا أنصار محمد الخامس الواقعيين الذين يعتبرون اللجوء الى التطرف لن يكون في صالحه.

و في ختام الجلسة أعلنت انني سأدعو للاجتماع في الأسبوع المقبل بلجنة خاصة مشكلة من مختلف الوزارات وهي المسطرة الأكثر ملائمة.

أخبرت بعد الزوال ان كرانفال متأثر جدا, فهو لم يفهم موقفنا ويريد مقابلتي عاجلا, فاستدعاه , دوهاميل, الى , ساناري, حيث يملك اقامة رائعة, وصادف هذا أن السيدة كرانفال كانت هناك في اجازة الصيف و كان كرانفال سيلحق بها في نهاية الاسبوع مما سيجعل تنقله غير مفاجئ لأحد.

فتقرر أن يذهب , ب.جولي, الى هناك ثم يلحق الجنيرال , كوينغ, الموجود وقتيها في , كان, على مقربة منهم.

وقد أليت على نفسي أن أعمل ما في وسعي لأبرهن لكرانفال على حسن العناية به لما أقدره فيه من الشجاعة, ولما له من المؤهلات, الا أنني بدأت أمل تصنعه , ورياءه, ولم افهم عدم ادراكه أن توقيت تنفيذ اقتراحاته فضلا عن مخططه قد تبخر.

واستبعدت كثيرا التشكك في كونه لا يستطيع فهمي وهذا ما ترك شيطان سوء التفاهم الحقير يقيم بيننا.

ويتمثل الانطباع السائد حول الموضوع في كون كرانفال يرى أن الأداة الحقيقية التي استعملت لمواجهة مخططه هي تلك الرسالة التي لا قيمة لها في الواقع, الصادرة عن الكلاوي, والتي تعتبر مقالا اكثر منها عملا سياسيا. وليس ذلك الموقف الأساسي الذي أعلن عنه السلطان ابن عرفة, وهو سلطان جالس على العرش, في رسالته الموجهة الى رئيس الجمهورية. وقد استخلصت من قراءتي المتأنية لكتابي كرانفال و , ستيفن بيرنارد, ملاحظة مذهلة كشفت لي مدى الشذوذ في الفعل وفي الرأي الذي فاتني ساعتها ادراكه.

وبما أن علاقتنا اصبحت, أيام الجمهورية الخامسة, ودية تسودها الثقة المتبادلة الى درجة أن كراتفال اصبح يدعي أنه ينتمي الى مدرستي الفكرية . فلم أعد, والحالة هذه, أهتم بالمشكل الذي وضعني فيه ,في تلك الحقبة , تصرفه الغريب اتجاهي.

واليوم أجد نفسي مؤهلا , بعد تحليل الوثائق و بعد المجهود الفكري المعمق الذي فرضه على تحرير هذا المؤلف لفك أكبر جزء من ذلك اللغز الذي يرجع الى عاملي الظروف و السيكولوجيا.

ولهواة البحث أقدم فرضيتي وقد بلغت فيما يبدو لي أعلى درجة من الاحتمالية العلمية بما انها تأخذ بالاعتبار انواع الشذوذ , في الفعل وفي التصرف, ولا توجد فرضية خيرها حققت مثل هذه النتيجة.

الواقعة الأولى : علم كرانفال زوال يوم الخميس 4 غشت و أن الحجوي سلم لمدير ديوانه رسالة من ابن عرفة الى رئيس الجمهورية, كما استقبل الحجوي بعد ذلك , في مكتبه ولن يتكلما الا قليلا حول موضوع الرسالة. ولقد تم تواصل الحديث بينهما حول الوضع الشخصي للحجوي الذي كان كرانفال يريد التخلص منه بأسناد مهمة اليه بأمريكا.

و هذه وقائع واردة في كتاب كرانفال.

النازلة الثانية : وخلافا لهذا , كرانفال لا يعلم, اولا بالبرقية رقم 2704,2712 التي أرسلت على الساعة الواحدة يوم 5 غشت.

ولا يعلم ثانيا بمهمة حمل الرسالة الى باريس من قبل السيد, مورجو, الذي عاد يوم 5 غشت.

ثالثا: اعتقد كرانفال, وهذا احتمال وارد لأنه اصدر تعليماته في هذا الاتجاه, أن الرسالة ظلت مختومة, وأنها سيبعث فيها في الحقيبة عبر الطريق العادي البطيء, وبالتالي لن تسلم الا بعد اجتماع مجلس الوزراء الذي انعقد يوم 6 غشت. وهذه حسابات ذكية, فهو اما أنه لم يقرأ تلك الرسالة, او قرأها ثم أعاد ختمها. الا أن الرسالة مهما كان محتواها لم تكن لتؤثر في القرار الذي سنتخذه خلال الاجتماع.

فماذا حدث في تلك اللحظة بالذات؟ قد يكون بعث البرقية قد ثم بدافع الخوف.

وقد يكون خطأ ارتكبه أحد مساعدي كرانفال أو أحد موظفي الاقامة العامة الذي ركبه الخوف فيما بعد, من أن يلام على ما فعله, فأخفى ما قام به ولم بعلم به أحد.

ومهما يكن فان كرانفال كان على يقين تام بأننا لن نتوفر على الرسالة صبيحة 6 غشت.

وهذا ثابت من التصريح الى , ستيفان بيرنارد, الذي جاء بأهم ما فيه في مذكرة له رقم 37 المشار اليها و المثبتة في كتاب له منشور.

كما وجدت تأكيدات كثيرة على هذا في وثائقي الخاصة وفي المذكرات التي تسلمتها من المحققين سنة 1960 الذين لما لاحظوا ما بيني و بين كرانفال طالبوا بتوضيحات من الطرفين. فوجهت لهم رسالة توضيحية بتاريخ 27 ابريل 1960.

و الحق أقول أنني لم أعتبر للأمر أهمية, ونشر هذه الوثائق لن يضر في شيء بذكرى جيلبيرت كرانفال , بل انها ستبرهن على حسن نيته كما يتسمح بفهم أفضل لما سبق من تصرفه.

واذا لم يقبل كرانفال موقف الحكومة يوم 6 غشت, فلأنه لم يدرك السبب الحاسم في اتخاذ ذلك الموقف, بينما الملاحظون المطلعون, وجدوه موقفا طبيعيا. و يتسفان بيرنارد, نفسه ظن أن التفسير الوحيد الذي قدمناه لكرانفال هو رفضنا لما كان يفرضه هو علينا من تاريخ محدد, والحال أن ذلك كان تبريرا وجهناه للجمهور العريض. و أنا هنا أتكلم عن , ريني كوتي و بيير جولي و أنا, ولا أحد منا افترض أن كرانفال لا علم له بالرسالة وهو من أبرق بها.

وهكذا تكون لبس عميق, كتب ستيفان بيرنارد يقول :

ذلك كان التفسير الوحيد المقدم لكرانفال.

والحقيقة أن حدثا هائلا وقع سيضع رئيس مجلس الوزراء أمام حاجز غير متوقع ومن الصعب تجاوزه في وقت قريب.

وقد قصدني كرانفال شخصيا برد فعله السيء, فهو لم يعز تصرفي يوم 6 غشت , وفي الأيام الموالية, الى ظرف قاهر. بل اعتبره جبنا مني أمام المخاطرالبرلمانية. ان لم يكن وراء تصرفي ذلك تفكير سياسي يقوم على المساومة والانتظارية ...هذا أصبح انقلابه علي مفهوما ومعذورا فيه.

وعلى كل فقد ألمني كون الفرصة لم تتح بعد سنين من علاقتنا الودية, امكانية التفاهم بصراحة فنطرد شيطان سوء التفاهم الحقير بيننا.

كما نفهم الكثير من التصرفات الشاذة للمقيم العام ومنها بالخصوص, استخفافه في كتابه, برسالة ابن عرفة التي اعتبرها لا أهمية لها. وكذلك عدم الرجوع الى تلك الرسالة خلال الزيارة التي قام بها لابن عرفة يوم 5 غشت.

ملحق

بدأ يوم 3 غشت حقية , من الأحداث, لا تتصل مباشرة بهذا العرض. وقد مرت دون ان تثير انتباه اي أحد تقريبا, وان كانت أثارها هائلة و وخيمة.

لما تفرغ كرانفال الى الجانب السياسي من مهمته, لم يجعله ذلك يتخلى عن الاهتمام باستتباب الأمن. وقد كان محقا لما ألح علي وزير الدفاع الوطني, كونيج, بأن يرسل فرقة عسكرية االقضية الهندضافية الى المغرب يسحبها من الجيش المرابط بألمانيا.

وهو ما رفضه الجنيرال خوفا من أن يحدث بذلك فراغ في جبهة الدفاع الغربية. وهذا القرار السلبي يصدر عن رجل طالب بتطبيق سياسة في المغرب تفرض توفير وسائل كبيرة للقوة. ها نحن اذا من جديد أمام تلك المفارقة التي عرفناها خلال القضية الهند, الصينية. حيث بخل القادة العسكريون بالجنود على جبهة الشرق الأقصى التي كانت هادئة. بل ان الجنيرال دوفال , وهو من قمع القسطنطيين, وهو المسؤول المباشر على الحفاظ على الامن والنظام سيوافق على قرار , كونيغ, بدون عناء. وهو الذي كان يدعو الى رفض الانفتاح, وقد وافق على أنه يتوفر على القوى الكافية للتدخل بشرط أن يتمكن من الدفع بها الميدان حسب ما تمليه عبيه الظروف, وأن لا يتعسف رؤساء الجهات في مصادرتهم لتلك القوى.

وفي يوم 3 غشت أكد الجينرال كونيغ على كرانفال أن يكتفي بما يتوفر عليه من قوات. و حثه على دعم القائد الأعلى للفرق العسكرية بالمغرب. وذلك في حالة ما اذا اضطر , تسهيلا حرية تحركه, الى التقليص من عدد الجنود المرابطين بالمناطق الأقل تهديدا.

وفي هذا الخطأ الوخيم العواقب, والصادر عن السلطات العسكرية العليا, تكمن أحد الأسباب الرئيسية لتلك الأحداث المؤلمة ليوم 20 غشت. ان التكتيك العسكري القائم على كون الخطر المترتب على تأخير التدخل العسكري بسبب دفع القوات من مكان الى أخر, هو ما حدث. و ينبغي القول أن استراتيجية الجنيرال دوفال تقوم على فكرة اذا استحال تجنب حدث خطير, فينبغي ركوب خطره بل

مسايرته, وما يحدث من خسارة بعدها , يحسب ضمن اربح و الخسارة. المهم في هذه المناسبة هو تحريك أليات القمع الشامل وذلك ما فعل في قسطينية سنة 1945, فكسب تسع سنوات من الأمن ولكنه أتاح خلق قوة لا تقهر ووضعا لا رجعة فيه.

ولهذا يمكن تفهم كون الجنيرال , دوفال, لم يهتم بعد بالحصول على ما طال به كرانفال. ولن أذهب الى التأكيد على انه لو كانت الاستجابة الى طلب المقيم العام تمت لكان ذلك القرار معرقلا لاستراتيجيته, ولكنني أكتفي بالقول أن ضرورة ذلك لم تكن ملحة في مخططه.

الطريق و الهدف

وهكذا ظل سوء التفاهم قائما بيننا وبين كرانفال. وقد هيأ جان دوهاميل لقاء ب , سافاري, حتى يتمكن خلال هذا اللقاء من الحد من اندفاع كرانفال, ويؤكد له ما لنصائحه من اهمية بالنسبة لنا. وحتى يفهمه أننا ما دمنا أمام حاجز لا يمكننا تسويته ولا القفز عليه. فينبغي أن نجد في البحث عن طريقة نلتف بها عليه, غير أن كرانفال ظل متمسكا بفكرة ثابتة لديه وهي اقناعنا بالرجوع الى مخططه الأصلي.

ولم يحضر انطوان بيني هذا اللقاء وكام كرانقال يرغب في اقناعه بفكرته هذه أمام الجنيرال كوينغ, فقد حضر يوم الاثنين وأنب كرانفال على قيامه بتلك الجولة. ثم ختم حديثه بنبرة ابوية وغادر , ساناري, بسرعة ليلحق غذاء ببوندول وقد كلمني دوهاميل عبر الهاتف و قال: ...كل شيء على ما يرام, كونيج نادى كرانفال بعبارة , أرنبي الصغير, وعند عودة كرانفال الى المغرب كرس اهتمامه للحفاظ على النظام وصرح , وقد تسرع في ذلك وان كانت المسؤولية لا تقع عليه, بانه مطمئن الى الثقة الرفيعة التي يضعها في الجنيرال دوفال.

وقد سبق لي ان تعرفت شخصيا الى هذا القائد الذي يترك لدى كل من تعرف اليه انطباعا أخاذا. ولا يستطيع اي مدني التجرؤ على مناقشة خوارقه و اقواله, كما أنه لم يكن يقبل اعتراضا لا فيما يتعلق بعدم وفرة الر جال ولا بتقص المعدات. وهكذا ظل حتى قضى وهو يقود طائرته.

ثم رجع كرانفال يوم الأربعاء الى باريس و قضى أيامه في الزيارات المتنوعة لمختلف الشخصيات , فلم يصادف واحدا ممن زارهم يعترض على ما يقوله : اذ لا واحد من هؤلاء له اضطلاع بالموضوع غير ما يقدمه هو لهم. وقد لاحظ من حديثه مع روجيه دوشي, أن عودة ابن يوسف الى فرنسا تعد الغصة الاكثر ايلاما في مخططه, اذ لن يقبل بها المنخبون.

وقد بدأ اجتماع لجنة الوزراء يوم 11 غشت صباحا ويقول كرانفال :

انني تأخرت عن هذا الاجتماع بساعة وانتهى يوم الجمعة é& بعد الزوال.

فاستضفت للغذاء الوزراء الحاضرين. كما استضفت في اليوم الثاني رؤساء الفرق البرلمانية.

وقليلون هم من منحوني فرصة للنجاح في مسعاي ولكن بالنسبة لي شخصيا لم يكن لدي شك في امكانية الحصول على موافقة بالإجماع حول سياسة الانفتاح التي أعمل على انجاحها, والتي حاولت أن تكون قريبة ما أمكن من مخطط كرانفال.

وكانت قوتي تكمن في ضعف خصومي و اذ كان موقفهم يعاني من عيب منطقي, فأني رأيت من الأنسب التصرف معهم بحسب الطريقة التي يتصرف بها المحامون الامريكيون, وهم متخصصون في البدئ بمعالجة القضية بين الأطراف في وضعها الشمولي. فيبدؤون بما هو ثابت عند الجميع و أكيد, ثم ينتقلون الى ما هو أقل يقينا وذلك عن طريق سلسلة من الاجابة بنعم أو لا. الى أن أصل بهم الى النقطة التي يضطرون فيها اما القبول بوجهة نظري أو وقوعهم في تناقض مع ما يرونه.

ويتوقف نجاح هذه الطريقة, بطبيعة الحال, على توفر أمر ثابت يتمثل في كون جميع الوزراء أناس عقلاء ينتسبون الى ثقافة عقلانية كلاسيكية. وقد كنت

محظوظا لعدم وجود شخصيات من بينهم تدفعهم عواطفهم, والتوجهات التي يتلقونها, الى انكار ما هو بديهي او يحتمون بترديد افكار على طريقة مارسيل بوساك. فضلا عن أو أولائك منهم من اسميهم ب , ميتروس, لانهم ينتمون الى هذا التيار. لم تكن عقولهم منغلقة ولا هم ديمقراطيون سيئون, فقد كانوا كمن سحر قبل حضورهم الاجتماع.

وعندما سيغادرون الاجتماع سيعودون الى حالهم, ولكنهم في هذه اللحظة, وفي هذا الميدان و أمامي, وهم مختلطون بزملائهم الذين لهم نفس قناعتي من مثل جولي, ويفيلملي, وروبير شولمان وبيير هانري تايجي, وأخرين ممن لا ينوون معارضتي وكذا وجودهم وبجانب كرانفال وجاك سوستيل فقد أصبحوا كمن تحرر ليتنفس أوكسجينا جديدا.

بدأت بدفع الحكومة الى اتخاذ قرار تعلن فيه بانها لن ترضخ لتاريخ 20 غشت. وأكدت على أن موقف الحفاض على كرامة الحكومة هذا لا ينبغي لنا اعتباره حجة للخلود للاستكانة وعدم فعل أي شيء. ثم ذكرت على الخصوص أننا سنتحرك في الاسابيع القيلية القادمة وأننا سنمر بعد شهر على أبعد تقدير الى مرحلة تنفيذ المخطط الذي سنعده. ولم أتنازل في كل ما قلته عن شيء للمتطرفين و اذ خلافا لذلك الحلم الساذج الذي راود كرانفال, لم يستطع أحد من الحاضرين , القول بأننا سننتهي من القضية في الايام الثمانية الباقية قبل حلول 20 غشت. بل على العكس من ذلك استطعت أن أحصل من المجتمعين على اعتبار هذا اليوم 20 غشت يوما صادا عن التحرك, مما سيفيد في ترضية الوطنيين المغاربة.

و هكذا أكون انتهيت من مسألة هده العقبة التاريخية ,يوم 20 غشت, وبكيفية مرضية. وأثناء مواصلة النقاش, كان علي أن أرجئ مسألة العرش بما أن الأتفاق حولها غير حاصل . وبدأت بمسألة تشكيل حكومة مغربية و مسألة انطلاق سياسة الاصلاحات بما أن الجميع متفق على ضرورة الشروع فيهما.

وعند هذه النقطة الاخيرة, أكدت و بقوة على أن الحكومة ينبغي أن تكون في تشكيلها متوازنة بين التقليديين و الوطنيين , ويقوم فيها المخزن بدور صمام أمان. استقبل هذا التأكيد بفتور لكن دون أن يجرء أحد على الدفاع عن تشكيل حكومة نت التقليديين وحدهم.

واتخذ القرار.

وانتهزت الفرصة, فذكرت بالاسم : حزب الديموقراطية و الاستقلال. وحزب الاستقلال مخففا جرأة تصريحي هذا بعبارة, باستثناء أعدائنا المؤكدين, الذين لا نجد أي سبب يدفعنا الى أن نشك في كونهم سيقدمون الينا بطلب حصولهم على مناصب في هذه الحكومة.

وتنفست الصعداء.

والأن أستطيع مواجهة تلك المعوقات الأكثر صعوبة.

ولما السؤال الاساسي , هل فيكم من يعتقد ان ابن عرفة قادر على تشكيل مثل هذه الحكومة؟

لم أجد أحدا يستطيع التصريح بالموافقة على هذه الفاحشة.

وفي محضر الاجتماع قمت شخصيا بالتخفيف من هذه الصياغة و كتبت : من المؤكد تقريبا أن مثل هذه الحكومة لن يتم تشكيلها تحت ولاية ابن عرفة الذي يطعن الوطنييون في شرعيته.

وهكذا توصلنا الى حصر التناقض الاساسي ولن تختم المسألة الا بذهاب ابن عرفة ما دمنا لن نحقق الهدف المتوخى وهو قائم على العرش. الا أن لا أحد منا يفكر في اكراه ابن عرفة على الذهاب.

اذا يجب العمل على أن نصل به الى أن يقتنع هو بضرورة تنحيته, وقد كان في الامكان تجنب ذلك لو أنه اعترف تلقائيا بما كان يبدو لنا أمرا مؤكدا ألا وهو عدم قدرته على تشكيل حكومة بالصيغة التي نتصورها....وبدلا من هذا تقدم شخصيا, و بإيعاز ممن يحركه, بلائحة ضمنها 85 اسما للاستوزار , ثم اوضح فيما بعد اثناء محادثة يوم 5 غشت مع المقيم العام, أنه على استعداد اذا لم تكن هذه اللائحة مناسبة لتقديم لائحة ثانية ب 50 شخصا فقط.

وقد سجلنا هذا النوع من الانذار , ثم تابعنا اهتمامنا بما يتبع , ذهاب ابن عرفة, اي بالحلول الممكنة لمشكل العرش, بعبارة اخرى : بمرحلة ما بعد ابن عرفة.

فحصرت الحلول الممكنة في ثلاثة :

تفويض الخاتم

رجل ثالث

او مجلس وصاية , هكذا سمي في الوثيقة, وقد أثار هذا كما توقعت اعتراض عدد من الوزراء, ولكنني حصلت منهم على الموافقة على أن يلغى كحل , اذ ينبغي التفكير فيما اذا كنا لن نستطيع تنفيذ أحد الحلين الاخرين.

وفي حالة غياب مجلس للوصاية , لا مفر من الاقرار بعودة ابن يوسف. وقد قبل المحافظون في صيغة غريبة تفضيل الحلين الاولين.

حتى ما اذا تبين استحالة الاخذ بهما يمكن اللجوء الى الحل الثالث.

قد تفضل الحكومة أحد الحلين الذين يرفضهما الوطنيين حتى الأن, والحال اننا قدرنا صراحة ضرورة شراك الوطنيين في الحل, والحكومة لا تستطيع قبول مجلس الوصاية الا في حالة استحالة تطبيق الحلين السابقين و شريطة اتخاذ كافة الاحتياطات ضد انزلاق هذا الحل نحو اعادة تنصيب محمد الخامس على العرش, وذلك عند تشكيل مجلس الوصاية.

و كان أخر ما قدم لابن عرفة ذلك الجزء الأكثر تعرضا للنقد في مجموع هذا السيناريو, وهو قسم لا يمكن اسقاطه. وكان جميع وزرائي متفقين حول ضرورة تنحي ابن عرفة ولكن لا أحد من المحافظين يريد تحمل مسؤولية المطالبة بتنحيته, أو مسؤوؤلية قبوله بها وكانوا يعتقدون أن الواقع سيفرض على ابن عرفة نفسه ادراك استحالة بقائه على العرش.

ثم ألم يكن هو من اقترح تشكيل الحكومة؟ ونحن لن نقوم الا بما أراده. ومن يومها حصلت من اللجنة على موافقتها على تبني الخطاطة التي كنت أعددتها وأنا أسير النقاش وقد تضمنت ما يلي :

1 أن يقيم المقام العام بمساعي لدى ابن عرفة حتى يشكل حكومة كفيلة بتطبيق الاصلاحات التي كان يطالب بها.

2 وفي حالة نجاح مسعاه يستدعي الوزراء المغاربة الى باريس يوم 18 غشت, ويستقبلهم وفد من الحكومة الفرنسية.

3 أما في حالة فشله , وهو أمر مؤكد, يعين المقيم العام وفدا واحدا أو أكثر من المغاربة يأتون للتداول مع الوفد الفرنسي.

وقد تم تحديد اجل دقيق لإنجاز كل هذا. ان مرحلة التفاوض ينبغي أن تبدأ انطلاقا من يوم 18 غشت في أقصى الأحوال الممكنة , وذلك استجابة لإلحاح كرانفال على التنبيه الى يوم 20 غشت, كما ينبغي تشكيل الحكومة يوم 12 شتنبر على أبعد تقدير, أي بعد شهر يوما بيوم على عقد الاجتماع, وقد تشكل من الأن الوفد الفرنسي الذي سيصبح معروفا باللجنة المصغرة و تتضمن بالإضافة الى رئيس المجلس : انا, بيير جولي, كونيك و انطوان بيني, وروبير شومان. بل ناقشنا حتى مسألة المكان الذي سيعقد فيه الاجتماع.

وبدلا من , نيس, كان ايكس ليبان ,و قد ظهر أنه مكان مناسب جدا كمقر للتفاوض.

اما مسألة عقد مائدة مستديرة فان فكرتها لم تكن حديثة, وقد سبق لكرانفال شخصيا أن أثارها خلال احدى محادثاته مع الكلاوي الذي أوضح له أنه لا يمانع في مثل هذه الأحوال في الجلوس الى نفس المائدة التي يكون فيها البكاي.

وهكذا وقع اتفاق عام, فدعوت ليوم الخميس 12 غشت بعد الزوال, المجلس الوزاري للاجتماع فصادق بسهولة على تشكيل لجنة موسعة, وقد حرصت في هذه الظروف الحساسة جدا أن أأمن لنفسي الضمانات التي تترتب عن احترام الشكليات.

طلب كرانفال مقابلتي ما بين الاجتماعين , ولا زلت أذكر ابتسامته عندا استقبلته في قاعة فسيحة تفضي اليها قاعة الاجتماعات كنت استقبل فيها....وقد أراد المقيم

العام مقابلتي لمجرد التعبير عن اعجابه به. وكنت دائما أتقبل هذا النوع من الحديث بصدر رحب. قال لي كرانفال :

لم أكن أتخيل ماذا يمكن للسلطة أن تفعله.

انها النفوذ الشخصي للإنسان أثناء اجتماع. وأنا مسرور لأنني كنت شاهدا على ذلك, لقد نجحت في فرض وجهة نظرك على المجتمعين وكانوا جميعا على خلاف تقريبا. وأفضلهم كان شديد التحفظ.

ولم يبد اي تحفظ حول القرارات المتخذة ولا حول المخطط المرتب انجازه بحسب تاريخين اساسيين وهما 18 غشت و يوم 12 سبتمبر.

ومساء نفس اليوم انكب مساعدي على اعداد مسودة رسالة اوجهها الى رئيس الجمهورية و الى ابن عرفة تكون جوابا على رسالة السلطان, كما تعبر في الوقت ذاته عن رغبة الدولة الحامية في تشكيل حكومة مغربية, وقد راجع نص الرسالة كل من بيير جولي و كرانفال و أنا, كما كلفت بتقديمها الى رئيس الجمهورية.

وفي الغد قمت باكرا بمراجعة نص الرسالة فلم أجده مرضيا , ثم ذهبت بالطائرة أنا وبيني و ايتيان بوران و دي روزي في اتجاه, فيزيل, حيث يقيم الرئيس , كوتي, فاشتغلت طيلة الرحلة بمساعدة ايتيان بوري بتحرير مشروع الرسالة, ثم قدمته لانطوان بيني الذي تفضل بالاستماع الى قراءتي لها ...وكان رئيس الجمهورية راضيا جدا على ما عرفته القضية من تقدم وقبل مشروع الرسالة التي ستوجه الى ابن عرفة كما صغتها.

ثم عدت الى , ماتينيون , راضي النفس. وفكرت في الذهاب الى , كورس, حيث يقضي الأهل عطلتهم عند الاصدقاء. و انا أعلم انني سألتقي هناك بالجنيرال ظو بيث, الذي كنت أقدر نصائحه, الا أنني ما ان وصلت الى المكتب, وكنت أنوي مجرد المرور به, حتى وجدت امامي عاصفة قوية بانتظاري.

انه كرانفال وقد أدلى بتصريح يقول فيه بأن لا شيء حدث, فبعدما سبق وأن وجه لي أحر المديح, وبعدما صادق على الرسالة الى ابن عرفة, وقد حافظت على أصلها ولم أدخل عليها الا تغييرات اسلوبية وافق عليها , بوران, وبعدما انتهت القضية مع الرئيس , كوتي, وقدمت عرضا لها اما الصحفيين دون أن أعلن عن

جزئيات العملية وأوضحت أن للحكومة مخططا ويومية لتنفيذه و منهجا. بعد كل هذا ها هو يغير موقفه تماما و يطالبني أن أبدأ من جديد.

فماذا حدث اذن؟

الذي حدث هو أن كرانفال عاد مجددا الى مساعديه الذين يتتبعوا المداولات, فقاموا بنقد شامل للمخطط و قد استنجدوا بالكولونيل, هيوبيرت, وهو من أحسن الضباط غير التقليديين بالمغرب. وقد اعتقد كرانفال أن الانذار الذي وجهناه الى ابن عرفة قد يكون من أثاره الانتقاص مما تبقى للسلطان من مصداقية. وأنا لم أغفل هذا النوع من المخاطرة ولكنها بدت لي تافهة لأن تلك المصداقية قد بلغت من الضعف اقصاه.

والواقع أنني اصطدمت , ولم أدرك هذا الا مؤخرا, بخاصية نفسية لدى كرانفال كنت أشرت اليها, فهو لا يعتبر قرارا ما مقبولا الا اذا ناقشه جماعيا مع من يثق بهم من رجاله. وقد ظل بجانبي اليوم كله أحد مستشاريه البارزين فلم يعد اليه.

لأن ذلك المستشار لم يكن يعده المقيم العام واحدا من بين فرقته.

رفضت أن أخذ هذا التحول مأخذ الجد و دعوت كرانفال للجلوس هو و , بوران دوهايمل, وطلبت منهم أن نراجع معا كل الوثائق التي تتعلق بتنفيذ قرارات اللجنة, فكانت البداية تسخة الرسالة المسلمة الي , فيزيل, وقد كتب كرانفال عنها: أن السيد ادكارفور هو كاتبها وهي غاية في الابداع الديبلوماسي حتى أن كاتبها اندهش لما اعاد قرائتها.

ثم تابعنا اجتماعنا بمراجعة جوابي على رسالة الكلاوي وكان جوابا جافا سر به المقيم العام , بعدها راجعنا مذكرة توجيهات لهذا الاخير تلخص قرارات اللجنة, واخيرا قائمة اسماء شخصيات مغربية سيراجعها المقيم العام مع السلطان.

وبعد كل هذا ينقلب كرانفال و يطلب مني مجددا التخلي عن المسطرة التي انتهينا من اعدادها والمصادق عنها من قبل رئيس الجمهورية . وقد أثرت انتباه المقيم العام الى أننا لن نستطيع تعديل المخطط الا بالرجوع الى أجواء مناقشات حكومية جديدة و هو ان حدث سيجرنا الى كارثة لا تتصور. وتحدث كرانفال عن استقالته دون ان يتقدم رسميا بطلبها , فطرحت عليه السؤال التالي:

هل ستذهب الى الرباط. نعم أم لا؟

فأجابني :

في هذه الظروف لا بالتأكيد .

ذلك ما أنهينا به حديثنا...ولم أقم باي شيء للإبقاء عليه مقيما لأنني بدأت أتساءل فيما اذا كان بقاؤه في منصبه أمرا مرغوبا فيه حقا.

يقول كرانفال : ساعتها ذهب الرئيس , رئيس مجلس الوزراء , الى مكتب دوهاميل وقال له : لقد قدم كرانفال استقالته , استدع مجلس الوزراء للاجتماع يوم الاثنين.

و هذا الذي ذكره صحيح, فأنا لم أفعل شيئا للاحتفاظ بكرانفال, لقد أثارت تقلباته في نفسي قلقا عميقا, نعم سيكون لذهابه عواقب خطيرة, ولكن أليس ذلك احسن من التمادي في هذا اللبس؟

الجهاد لن يقوم

وبعد عودة كرانفال الى الرباط,, أرسل برقية يسحب فيها اعتراضاته على المخطط الذي سابق له أن صادق عليه عن طيب خاطر ثم رفضه, ثم عاد وقبل به مكرها. وبذلك يبقى وفيا لأساليبه العنيدة, ان المسطرة المعتمدة من قبل الحكومة أثارت حسب رايه, انتقاد جميع التيارات , وهذا مما يؤدي في جميع الأحوال الى تحقيق نوع من التوازن, حتى أن زعماء المناطق أصبحوا يفضلون مخططه الاول . ذلك المخطط الذي سبق لهم و استقبلوه باستهزاء.... أما الوطنيون فانهم لم يكونوا راغبين في حضور المفاوضات , الا أنهم حضروها بدون أي تردد, فاقترح كرانفال أن يستدعوا الى باريس واحدا واحدا, والواقع أنه كان يعتقد أن هذه الصيغة ستحافظ على سلطته الشخصية حال المفاوضات.

وقد كان يشتكي من كون الحكومة لا تعير اهتماما لشكاويه الملحة. انني لم يكن بوسعي الرجوع بلا انقطاع الى تجربة اللجنة الوزارية. ثم ان اتصالات بيير جولي بالمعتدلين من المغاربة تؤكد لن هؤلاء لا زالوا يمنحونا ثقتهم, و هم

يضاعفون من تعليماتهم الى أتباعهم حتى يمتنعوا عن القيام باضطرابات في المراكز الحضرية الكبرى .حيث كان تأطيرهم لها متينا. كما كانوا يتحفظون بالنسبة لبعض المناطق الريفية التي أبعد عنها مناضلوهم الرئيسيون وبقي المحرضون يتجولون فيها بدون رقيب.

وكان العمل الاساسي يجري بالقصر في غفلة من العيون , اذ سلم كرانفال يوم الأحد 12 غشت صباحا رسالة من رئيس الجمهورية الى ابن عرفة مصحوبة برسالة أخرى كتبتها اليه.

وقد كانت ترجمتها فيما يبدو غير واضحة, وفي منتصف الليل من نفس اليوم وصل الرد : عبارة عن وثيقة كتبت بأسلوب رشيق وفي صياغة فالنونية جيدة مما يؤكد على أن كاتب رسائل ابن عرفة واحد.

طالب السلطان في رسالته ب 28 يوليوز بممارسة اختصاصاته كاملة, وأكد على رغبته في تشكيل حكومة كما طلب منه, الا أنه أضاف في تعال أنه سينهي شخصيا مسألة تشكيل تلك الحكومة. وبناء على ما يراه هو , وقد تقدم مستندا على ما يقول بعنصرين أعجبت بدقتهما و تناسبهما فهو من جهة يتلاعب بما نطالبه به أن يكون التمثيل في الحكومة متوازنا بين مختلف الفرق. وحتى اذا كانت بعض التيارات ترفض المشاركة , فانه سيشكل حكومة بدونها ويصرح بأنه يقبل بوجود معارضة سياسية منظمة مثلما هو قائم في جميع الديمقراطيات, وفي نفس الوقت يترك السلطان للحكومة الفرنسية الصلاحية لمعالجة جميع الأمور المتعلقة بالمحافظة على النظام. فما علينا اذا الا أن ندبر أمرنا فيما يحدث من اضطراب و مآس قد تنجم عن الكيفية التي سيتصرف بها هو بحرية في المجال الخاص بسيادته.

وبهذا يكون كاتب رسائل السلطان قد تقدم بخطوة في الميدان السياسي ليبرهن على أن سيده, ذلك السلطان الذي يعود الى عصر الاقطاع المنعزل الحبيس في قصره لم يكن يجهل أشهر النظريات الفلسفية المتعلقة بالدولة الحديثة.

وقد تبنى صيغة التبعية المتبادلة حتى يبرهن على أنه ليس ذلك الرجعي المتخلف الذي يعيش تحت سيادة فرنسا, بل هو ملك مهتم , شأنه شأن غيره من الملوك, بتطور المغرب و بالانتقال به من مرحلة الحماية الى مرحلة التشارك.

الا أن السلطان ابن عرفة لم يقل كلمته الاخيرة. تلك التي يشير اليها في مراسلاته , وهو في وضع شبيه بتلم الوزارة العمومية التي يقال عنها :القلم خديم سيده . والكلمة الحرة , و الماكر يكتب لسيد القصر التفكير فيما يعتبره صالحا له.

والمفاجأة لم تحملها الرسالة وانما حدثت في الكواليس:

ففي مساء يوم الاثنين حضر الباشوان الاخوان التازي , واحد بالرباط والأخر بفاس, الى الاقامة العامة يحملان رسالة شفوية سرية من ابن عرفة الى المقيم العام, يعلن فيها ابن عرفة عن رغبته في الرحيل عن المغرب وهو مستعد للتنازل عن العرش كما يطلب أن لا يركب طائرة و يطالب بمساعدة قدرها تلاثون مليونا. أما بالنسبة للمسألة الاولى , فان باشا الرباط قد هيأ طريقة لفرار السلطان, اذ اقترح ان يستضيف ابن عرفة للعشاء عنده ثم يأخذه الى طنجة حيث يمكنه الابحار منها في هدوء. وفي مثل هذه الحالة دائما ما تشكل الاسرة عبئا معيقا , ومثال لويس السادس عشر دليل جيد على ذلك, وقد كان من الممكن تجميع اسرة ابن عرفة سرا, ثم تسفيرها جوا.

وعند انعقاد مجلس الوزراء بدأ, تريبولي, ذو الشخصية الغامضة يميل متأثرا ب, شميتين, الى فريق المتشددين حتى أنه كان يزايد على بوساك وليناري, وقد عمل فريق جنيرال كونينغ, ولحسن الحظ لم يحد ,انطوان بيني, عن الخط المتفق عليه بينما اقتصر كونينغ, الذي لم يكن قليل الوفاء, على ترديد شكاويه من كرانفال.

دعوت كرانفال للغذاء في بيتي بصحبة , دوهاميل , وكان حديثنا خلاله مركزا حول البعثة التي ستتوجه الى مدغشقر وحول من سيرأسها, وأنا أفكر بصوت عال جاء على لساني اسم , بيناي, وقد كنت أعرف أن , بيناي, الذي سبق له أن استقبل السلطان محمد بن يوسف ورافقه بصفته وزيرا للاشغال, يحتفظ بانطباع طيب عن السلطان المنفي فهو بذلك نسب شخص يمنحه السلطان ثقته, كما أن بيناي كان كلما تحدثنا عن المغرب يردد تلك العبارة الحكيمة : أنظر ادكار أن العلاج الحقيقي هو العلاج الذي يشفي. فتحمس كرانفال لهذا الاقتراح. الا انه كان علينا أن نتوخى الحذر في تحركنا. وهناك أسماء اخرى يمكن أقتراحها للقيام بهذه المهمة, وهكذا ورد اسم , نوجس, المقيم العام السابق الذي يكن له ابن

يوسف أكبر التقدير , لولا أنه يواجه حكما معلقا بالمحكمة العليا لكان أنسب رجل , ثم ذكرت اسم الجينرال كاترو.

وكانت هذه المحادثات مناسبة اخرى ليقع سوء تفاهم بيني و بين كرانفال. اذ اقترح المقيم العام طبعا لطبيعة الخلاف و نظرا لاقتناعه التام بما يمكن , لبيناي, أن يحققه بسفره, قلت أقترح اجراء مقابلة خاصة ببيناي . زوال نفس اليوم , فحدثة بيناي عن السلطان مضيفا لو تم التخلي عن وزارة خاصة بالحماية , ولو ظل المغرب تابعا ل , كي دورسي, كما كان سابقا, لذهب شخصيا الى مدغشقر سرا ليتفق مع الرجل الذي يملك حل المشكل, فتلقف كرانقال الفرصة ليقترح عليه تحيين هذا المشروع, الا أن بيناي أشار الى أنه سيطالب في هذه الحالة بمنحه جميع السلطات فقال كرانفال, ولا شك أنه تذكر مخططه الاصلي, مازحا باختصار : هل تريد الاتيان بابن يوسف معك؟

قد لا يحدث ذلك, و لكنني أريد أن يكون في امكاني اتخاذ جميع القرارات في نفس اللحظة و المكان.

وعندما تعرض كرانفال في كتابه لهذا , صرح بأنه كان منزعجا بعض الشيء لهذه النتيجة, ولما اجتمعنا نحن الثلاثة عاد الى نفس الموضوع, وقد أعرب عن اندهاشه من كوني لم أنتهز هذه الفرصة المواتية وربما اتهمني بالرياء. بينما كان دافع موقفي في غاية البساطة, اذ لمعرفتي الجيدة ببيبني, فأنا أعلن أنه يترك أحيانا لنفسه العنان فيسير وراء فكرة طارئة ولكنه غالبا ما يتراجع عن متابعتها. ومن طبعه الحذر من كل ما يشم فيه رائحة المناورة و اعتقدت انني اذا واصلت السير في الاتجاه الذي يدعوني اليه كرانفال, فإنني سأدفع و بيني , الى الانتباه الى وجود مؤامرة, فأسرعت الى ازالة الشك بقولي: ان وزير الخارجية شخصية مهمة جدا.

وطرحت صدفة اسم, ببير هنري توتجين, الذي لم يتحدث عنه أحد طيلة الجلسة. وقد اعتقدت أن اسمه سيثير انطوان بيني فيميل الى مشروعنا, ثم ختمت حديثي قائلا : سنتحدث عن هذا في ايكس ليبان. وانتهت المسالة في الخير بتعيين , هنري يرسون.

انهمكنا بعد الزوال في اعداد لائحة بأسماء المشاركين في اجتماع ايكس ليبان, وقد زال التوتر الذي كانت تعرفه العلاقة بين كونييغ, وكرانفال. وكان سببه رواج معلومات ماكرة من مصادر , مقربة عرفت فيما بعد انها من ,شميتلين, تتهم كرانفال بتزوير اللائحة التي تقدم بها الى ابن عرفة وهو الأمر الذي لم يجد كرانفال أية صعوبة في دفعه, وبما ام كونيينغ, وكرانفال هما الوحيدان من بين اعضاء اللجنة المطلعان على الوضع بالمغرب, فانهما سرعان ما انعزلا ليشتغلا في هدوء, وقد لاحظ روبير شومان في نبرته الهادئة المعهودة ذلك بقوله :

عندما تسند مهمة ما الى رجلين دائمي الاصطدام فان كل شيء يتغير.

وقد قضى وزير الدفاع و المقيم العام فترة الزوال معا في هذا التحضير, مما جعلني أتأسف على كون كرانفال لم يحضر الى باريس بالمس, كما كان مقررا. وبعدها التحق بالرباط في الثانية صباحا.

وقد اهل يوم عشرين غشت.

فقضينا ذلك اليوم , 20 غشت, في حالة توثر ملك علينا عقولنا.

وما يدهشني اليوم هو كون اهتمامنا تركز في ذلك اليوم على المغرب , فلم نفكر البتة في الاستخبار عن الاحوال بالجزائر التي كان التحضير جاريا فيها للقيام بأكبر اضطراب بسبب حركة التمرد بقسطنطينة طابعا خطيرا.

لقد كانت معلوماتنا في تلك اللحظة قليلة حول العلاقة بين حركة التمرد الجزائرية و بين بعض العناصر السرية النشطة بالمغرب, ولم نعلم بوجود تلك العلاقة الا فيما بعد حقا. كان بين الطرفين اتحاد وثيق على مستوى التخطيط و الاعداد و قد برمجت الانتفاضات لوم واحد وهو 31 اكتوبر.

وفي اللحظة الاخيرة تخلفت الانتفاضة المغربية عن الموعد وانطلق الجزائريون وحدهم. ويرجع السبب في تخلف الطرف المغربي عن موعد الانطلاق الى تحفظات , ستصبح مقاومة كل من حزب الاستقلال و عناصر تعتبر اكثر تمثيلا لقضية السلطان القديم. وقد كانت سياستا حزب الاستقلال و ابن يوسف تعتمدان على تحقيق نتائج دون اللجوء الى العنف العسكري, كما كانونا يعتقدون ان مانديس فرانس, رجل السلام في الهند الصينية و صاحب خطاب قرطاج, سيؤدي به الأمر في الاخير الى الاهتمام بالملف المغربي. ثم ان السلطان المنفي سيعد مسطرة لقيام مجلس التاج , وذلك خلال الاسابيع الموالية لبداية حرب العصابات

بالجزائر. ورفض المغرب القيام بعمل مواز, قلت سيعيد تلك المسطرة التي ضمنها رسالة بعث بها يوم 26 دجنبر 1954 الى جورج أزار. وقد انتظر عبثا خلال الاسابيع الموالية رد فعل من باريس .

فلا السلطان ولا الأحزاب كانوا يجهلون الصعوبات التي كانت تضغط على الحكومة والتي كانت تحرمها من الحرية الضرورية لاتخاذ مبادرات جديدة, وقد سقطت حكومة مانديس فرانس في اللحظة التي استبد اليأس بالنفوس. ولكن تعييني , سيبدو بمثابة انفتاح جديد على امكانية ايجاد حل سلمي تفاوضي.

وتجدر الاشارة هنا الى أن ممارسة أعمال العنف كانت تتم خارج سلطة الاحزاب السياسية وأن العلاقات بين أفراد الحزب و القائمين بالعنف موجودة.

وقد كان من الصعب على الأحزاب أن تدين علنيا تلك العمليات التي لم يكونوا يتمنون وقوعها. اذ هي , تلك العمليات, تعبير عن التطلع الوطني الى رفض القمع. عموما, ان أهم قادة الاستقلال الذين كانوا كلهم تقريبا أوفياء لمحمد بن يوسف, لا يمثلون تيار العنف و كانوا يعاتبون على ليونتهم.

ويمكن اعتبار تصريح أحد أهم المتهمين بالإرهاب اثناء محاكمة , اليد السوداء, تعبيرا عن الحالة النفسية لهؤلاء المتشددين , يقول : كان حزب الاستقلال يدعونا دائما الى الهدوء , وقد مللت ثرثرته فغادرته لأقوم بعمل اخر.

وتعتبر احداث 21 غشت نسخة لأحداث 21 نوفمبر 1954, ولم يكن , قرار الانتفاضة بمناسبة ذكرى ابعاد السلطان مبادرة مغربية , وانما جزائرية , اختيرت تلك المناسبة لجر المغاربة الى فتح جبهة عسكرية للكفاح يجعل الفرنسيين في وضع عسكري خطير. وقد انطلقت الثورة في الجزائر. كما برمج لها , في جرأة تكاد مجازفة, اذ اختار الخارجون عن القانون, الثوار, الجزائريون ميدانا لعملياتهم منطقة كانت السلطات قد وضعتها عشية الانتفاضة في حالة استنفار.

وفي المغرب رفض كل من الاحزاب السياسية و من دعاة الشرعية مرة اخرى السير مع الانتفاضة الجزائرية لانهم , وقد عادوا الى ما كانوا عليه في 11 نوفمبر 1954, كانوا يتمنون ان يختاروا وفي اقرب وقت ممكن وفي كنف الحكومة الفرنسية, تلك المرحلة التي اتفق كرانفال و البكاي على مباشرتها.

ان تعميم الاضطراب لو وقع , لكان الراي العام سيعزوه الى دعاة الشرعية, ولكان سيؤخر الى اجل غير مسمى عودة ابن يوسف الى عرشه , بل و سيؤخر

نهاية منفاه كذلك وهذا يعني ارجاء استلام السلطة الذي ينبغي في نظرهم ان يتم بعد اقامة سلطانهم بفرنسا.

وهكذا سينخرط الوطنيون في اللعبة كما سنعترف بذلك فيما بعد, ولو كان الأمر بيدهم لما حدث أي شيء مما حدث في 20 غشت, وبالفعل فقد توصلوا الى توقيف الارهاب الحضري ليس مدة هذا اليوم بالذات فقط بل و للأيام التالية :

لقد التزمنا مع فرنسا بالدعوة الى الهدوء وقد وفينا بالتزامنا. وهناك من يؤكد بأن القوات المسلحة وحدها من يحقق الهدوء في المدن الكبرى, وأرجوا ملحا أن لا يتم اللجوء الى هذا الخطأ .ان الحماس بالمدن القديمة قد بلغ درجة بحيث لولا تدخلنا لكانت فكرة التضحية بالنفس جرت الجماهير الى العنف.

واعترف القائد العسكري لمنطقة الرباط انه لولا تلك المساعدة , من المواطنين, لحدثت انتفاضة واسعة جدا.

الا أن الخطر لم يكن حيث كنا نترقبه , ولم يلجأ هذا القائد الى تلك القوى التي كان يعتقد أنه سيستعملها.

كان الارهاب ظاهرة حضرية, ومن الصعب أن ينتشر في البادية حيث لا يمكن لأي عمل جماعي يحدث دون أن يفلت من عيون شبكة المراقبة الجماعية, الا أن العنف يمكن أن يظهر في البادية في شكل تمرد قبلي كلاسيكي وفي شكل حملة عسكرية , وهذا ما سيقع.

والحال أن البادية لم تكن اطلاقا في منأى عن مثل هذا الخطر , مما سيجعل خرافة البادية الطيبة , المدينة السيئة, تبدأ في الانهيار.

وقد سبق لفرانسيس لاكوست في برقية له بتاريخ 26 مارس 1955, أن نبه الى خطر العدوى التي تخلقها الانتفاضة الجزائرية وذلك بسبب مساهمة فرق نظامية عسكرية او احتياطية مغربية ظل أفرادها يحتفظون بعلاقات مع دواويرهم.

كما لاحظ أن البادية في مجموعها و بالخصوص, بعض الجهات منها, سيست فلم يعد قولنا أننا في البادية المغربية بعيدون عن أية مفاجأة , أمرا مسلما به.

وقد أخذ كرانفال هذه الاخطار التي كان الوطنيون ينبهون اليها بعين الاعتبار.

فاوحى له هذا الاهتمام بمشروع , ذكي جدا, يقضي برفع الحصار المفروض على عدد من الوطنيين الذين ينتمون الى المناطق الداخلية.

وقد كان كرانفال ينوي اقتراح هذا التدبير على رؤساء المناطق عندما اجتمع بهم في حالة نفسية يستحيل معها تجاوز هذه الخطوة.

يقول عن هذه المحاولة:

لا فائدة, كنت كمن يخاطب صما, أن سوء الفهم هذا دفعني الى الانفجار, حتى أنني اوشكت على فرض قراري الا أنني ترددت...ثم استسلمت بعدما تعبت من العراك.... فمن يدري لعل 635 من المسؤولين في قصبة تادلة قد يسمح لهم بالتأثير على اسماعلة وعلى مجزرة وادي زم قبل وقوعها.

وفي نفس اليوم الذي اجتمعت فيه اللجنة الوزارية , وقع حادث أخر اكثر دلالة , اذ وجه أربعة قواد من زيان برقية للإقامة العامة يرفضون فيها ادعاء الكلاوي المتحدث باسم البربر جميعا. ويؤكدون ولائهم لابن يوسف.

ذهب المراقب المدني لملاقاتهم مرفوقا بخليفة وادي زم ومنعهم من التقدم, وهو عمل شجاع ولا شك. ولكنه سيتبين أنه لم يكن مجديا , اذ قتل هو و الدركي المرافق له. وقد حدث أنه في صباح نفس اليوم, أن أرسل دركيوا واد زم الى أبي الجعد, فلم تجد عصابة الغاضبين أمامها الا ستة دركيين وبعض المخازنية لم يكونوا يشكلون قوة دفاعية تقف في وجه هذا الهجوم. ولم ينطلق فيلق من البحارة المرابطين بالقاعدة الجوية بمدينة اخريبكة على قربها من موقع الأحداث الا في حدود الساعة العاشرة, فحاولت ايقاف الزحف, ولم يتمكن هؤلاء المظليون من ذلك الا بالتدرج والى حدود الساعة 5 زوالا.

وقد جرى نقاش كبير حول من هو المسؤول عن أحداث وادي زم , ومن الواضح جدا أن المقيم العام الذي عانى كثيرا من الاتهامات العديدة ومن الظلم, لم يستحق شيئا من ذلك كله.

نعم, هناك أخطاء خطيرة ارتكبت عنوة أم لا....الا أنه في مثل هذه الحالة ينبغي الانتباه الى عدم وجود خط فاصل بين ما يعتبر اهمالا و بين ما هو جمود حدث ان لم يكن عملا تخريبيا...

وفيما يتعلق بقضية وادي زم فقد ثبت أن الانذار بما سيحدث قد وجه على الساعة الثامنة و نصف , بينما تعود بداية الاحداث ابي الجعد , التي كانت وراء سحب قوة الفاع من وادي زم, الى الساعة الثامنة. والحال أن الترخيص بإطلاق النار في هذه الناحية , لم يقدم طلبه الى كرانفال لتوقيعه ولم يدخل الى حيز التنفيذ الا على الساعة الثانية عشرة.

ومهما تكن الملابسات المحيطة بقضية وادي زم , فهناك مسؤولية لا يمكن رفعها عن القيادة ذاتها, وهي مسؤولية ناجمة عن ارتكاب خطأ كبير ترتب عن التصور العام للمهمة المنوطة بتلك القيادة.

وليس اخفافا مني بذكرى الجنيرال كرانفال وكنني كمؤرخ اقول أن الاستراتيجية التي تبناها شكلت أحد العناصر الحاسمة في وقوع الكارثة.

القائد الأعلى ارتكب خطأ, وندم على ذلك فيما يبدو, عندما لم يلح في طلبه ارسال فرقة تعزز القوات العسكرية بالمغرب, وقد تقدم به كرانفال الى باريس , بينما أعلم الجنيرال , دوفال, وزير الدفاع بانه في امكانه الاستغناء عن المساعدة العسكرية شريطة توفره على القدرة على التحر ك الضروري بما لديه من قوات في حال التدخل السريع.

وقد أبعدت استراتيجية دوفال أي نوع من اللجوء الى تقسيم المناطق و مراقبتها و هو ما سارع , بايير دو لا تور, الى القيام به. وقد كان ريموند دوفال يضع تفثه في ما لديه من مجموعات عسكرية عملياتية احتياطية تخضع لتداريب مكثفة. وفي حالة استنفار دائم و منتشرة في خمسة مواقع هي: وزان, مراكش, اكادير, القصيبة, وتتمثل نقاط ضعف هذه الاستعدادات في كونها تعتمد كليا على قيمة المعلومات التي كانت تتلقاها , وعلى سرعة المواصلات, والحال أن هذان الشرطين لم يكونا مضمونين.

وهناك معطى اضافي لم يكن للأسف لصالح القيادة , ذلك أنه حتى ولو لم تأت المخابرات حاليا بشيء واضح و محدد, فان رجالا مجربين لم يكونوا يجهلون أن الأطلس المتوسط عموما و منطقة تادلة بالخصوص كانت تشكل منطقة خطيرة, فكان من باب الاحتياط الأولي التفكير في اتخاذ تدابير أمنية خاصة بهذه الناحية, وذلك بوضع قوات متحركة قريبة من النقط التي يحتمل وقوع انفجار بها.

وبعودة سريعة الى هذا الملف يمكن الوقوف على ثلاثة أمور تتظافر فيما بينها :

أولا : كان فرانسيس لاكوست قد حدد في برقية بتاريخ 26 مارس منطقتين مثيرتين للقلق وهما : منطقة الشمال , القريبة من حدود المغرب الاسباني حيث اقيم بالفعل مركز للقيادة العامة لجيش التحرير, ومنطقة الأطلس المتوسط.

ثانيا : عبر الكولونيل جورج في مذكرة طويلة و مؤرخة ب يوليوز1955 عن تخوفه من بعض القبائل ظاهريا تبدو للمرء وكان لا شيء يجري بها, ولكن يجب الحذر من النار الخامدة فيها , كما أذكر هنا اشاراته التالية : جميع قبائل الاطلس المتوسط, مع تشديده على ازرو, مريرت, اخنيفرة, ايت اسحاق وزاوية الشيخ.

كما حدد في اشارته قبائل سهل تادلة بوجه خاص.

هذا ما كتبه ضابط سامي, ليس له ما يدعوه لأن يكون أكثر اطلاعا من الأخرين, أن جميع الناس بالمغرب كانوا على علم بهذه الامور, وكان عليهم أن يعلموها.

ثالثا: تعرف قبائل تادلة وضعية خاصة, كان على المسؤولين المغاربة أن ينتبهوا اليها, وهي ظروف ما كان يعرف بقضية قاتل تادلة, التي تعود الى سنة 1951, والمقصود قضية الحنصالي الذي قتل مخزني ثم أعلن التمرد وبدأ في اطلاق النار بشكل عشواءي على الفرنسيين فقتل تسعة وجرح اخرين. والطريف أن القبيلة لم تسلم القاتل مما يجعلها شريكا في الجريمة, فتعرضت بذلك للقمع على يد الجنيرال , بايير دولاتور, فقتل عشرات المغربة من قبيلة أيت سعيد.

جميع هذه الاعتبارات كانت تفرض على المسؤولين عن الأمن أن يقيموا وسائل أمنية لم تكن موجودة وأن يراجعوا مدى صلاحية جهاز الانذار لديهم الذي أصابه عطل غير مبرر ساعات قبل وقوع الاحداث. فمن الصعب اذن وقد بلغ التقصير هذا الحد التمييز بين الخطأ الفادح وبين الخطأ الارادي.

وأخيرا هل يمكن القول أن هناك مؤامرة حقيقية دبرت بقصد افشال سياسة التصالح التي نعمل عليها؟ أنا لم اكن أظنها كذلك. ولكنني طلبت مع ذلك من , بايير دولاتور, عند استلامه مهامه أن يتابع التحقيق الذي كان كرانفال بدأه. وعلى أن أشكره هنا على كونه لم يحاول اقبار المسألة كما أشكره على أن الاقامة العامة, وهو على رأسها, قدمت في تحقيقها بعض النتائج , تدفع الى التفكير كما سنرى من البرقية الواردة في أخر الفصل.

وتوقفت الأمور هنا. اذ يستحيل في الوقت الراهن معرفة ما اذا كان البحث قد توصل الى نتائج مفيدة او توقف.

اعتاد , دوفال, على قيادة طائرته الخاصة ولم يكن الاحتياط من اهم ما يشغله.

وفي يوم الثلاثاء 23 غشت بينما كان في زيارة لخنيفرة, وقصبة تادلة, صادفت طائرته فيما يبدو فراغ هوائي , فسقطت و النيران تلتهمها.

وقد جاء في رسالة كرانفال الاخيرة رأيه في دوفال , حيث يرى فيه المقيم العام الذي يستطيع تنفيذ سياسة تقوم على ما هو أساسي في مخططه, بأن يدفع بأبن عرفة الى التنحي عن العرش, ويشكل مجلس التاج و يؤمن عودة ابن يوسف الى فرنسا...وهذا لعمري رأي يفاجئ . ولكن اذا كان لا أحد يمكنه التنبؤ بما يستطيع

فعله الأحياء من الناس , اعتبارا لتطور الظروف, فما بالك بعدم القدرة على معرفة ماذا كان بإمكان الموتى أن يفعلوه قبل وفاتهم.

احتمى فرسان أيت اسماعلة بالجبال فطاردتهم فرق منطقة الدار البيضاء وحاصرتهم تم قضت عليهم...

أنا الجنيرال قائد المنطقة العسكرية بالدار البيضاء أنت تحت أمرتي, قال الجنيرال ,فرانش, عبر مكبر الصوت. لدي الجيش والمدافع و الطائرات مما يسمح لي بتحويل كل شيء الى غبار. وفي ميدان مكشوف يواجه ألف رجل مسلحين تعززهم دبابات القتال. اثني عشر الفا من الحفاة بينهم عدد كبير من النساء والأطفال يرفعون على رؤوس عصي أسمالا بيضاء. دزينة من الثيران تتهاوى بطعنة سكين واحدة. ثم بطعنة ثانية تأتي على عنق الضحية الثور ويسيل الدم.

ان قبيلة أيت اسماعلة , التي تصرفت تصرف الذئاب النتنة قد منحت الأمان, كتبت , لومزند.

ونحن يوم الجمعة 27 غشت , وقد انتهت مفاوضات ايكس ليبان والجهاد لن يقوم.

ملحق : برقية استلمت الساعة 10,25 مساء, الشؤون المغربية التونسية.

جوابا على برقيتكم بتاريخ 28 شتنبر , تطلبون فيها التقارير السياسية التي أعدتها السلطات المحلية للمراقبة باخنيفرة, وادي زم, و خريبكة بعد أحداث 20 غشت وفي التقرير الذي أعده الجنيرال , ميغيل, بتاريخ 25 شتنبر , أثار انتباهي ما ذكره في الفقرة الاخيرة منه يقول : يمكنني الأن أن أؤكد على أنه ما بين فاتح و 20 غشت عقدت ثلاثة اجتماعات في أحواز زيان.

أحدهم عند القايد أمهروق, والثاني عند أخيه بوعزة, والثالث بأكلمان عيززة. أما الاجتماع الأخير , ولا أستطيع تحديد متى وقع, فقد يكون يوم 17 او 18 غشت.

وقد حضر هذه الاجتماعات كل من القايد السابق أحرضان, وأوروبي وأحد أو اثنان والقايد ولد أمهروق, كما يمكن أن يكون قد حضر هذه الاجتماعات مصطفى حوسا.

وقد أكد لي مخبر موثوق ان القصية كانت من اعداد هذا الأخير ومن المحتمل جدا أن يكون ذلك بطلب من أحد موظفي الاقامة العامة الذي التقى بمصطفى هذا, عدة مرات في سلا أو الرباط.

وأنا أعتبر هذا التلميح وان لم يكن اتهاما, تلميحا خطيرا جدا. مما دفع بي الى تعميق البحث في القضية. وأعتقد أنني أستطيع لاحقا تقديم توضيحات في الموضوع بل شهادات اذا أمكن موثوقا بها.

فنحن هنا , كما ذكر الجنيرال , ميغيل, أما تلميح بالغ الخطورة. وأعتقد أنه من الأفضل مطالبة الجنيرال بالإفصاح عن اسم موظف الاقامة العامة هذا من يكون. وعن اسم مخبره, الا أنه اعتبارا لحالة التوتر الشديد السائد بالمغرب حاليا فانه من المصلحة أن لا تستغل هذه القضية على منصة البرلمان.

جلسات مغلقة
تتخللها فترات استراحة

اتفاق ايكس ليبان :

هل تحتم علينا مأساة وادي زم مراجعة مؤلمة لسياستنا المغربية؟

الا ينبغي , على الأقل ارجاء مؤتمر ايكس لي بان؟

قد تبدو هذه المسألة اليوم تافهة الا أنها لم تكن كذلك يوم 21 غشت.

عدد من الناس كانوا ينتظرون ان اتخذ مثل هذه المبادرة, غير أن قناعتي كانت تدعوني الى السير في تطبيق البرنامج المقرر, ولم أكن وحدي. فقد كان هذا موقف كل من بيير جولي و دوهاميل.

بل ان اصرار وزير الشؤون المغربية التونسية على هذا الموقف الذي يستحق عليه التقدير , سيجر عليه انتقادات أصدقائه المعتدلين الى درجة أن بعضهم ألمه بخبث حقيقي.

وفي النهاية ان حادث وادي زم أكد أمرا وهو كون موضوع الحفاظ على النظام لن يتحقق بوسائل الحفاظ عليه وحدها.

حرب الريف ليست ببعيدة جدا.

والحقيقة , كما قال فرنسيس بوري, عندما التحق ,بناظو, ان تهدئة المغرب لم تتحقق بالفعل, فحرب الريف ليست بعيدة , ولدي بعض الاسباب لأتذكرها, وقد تركت جروحا دامية.

فكرت في هذه العبارة عندما تمكنت أياما بعد ذلك من قراءة تعليق للجنرال, فرانشي, في مخاطبته للقبائل المستسلمة , يقول : ها قد مرت عشرون سنة على وجودي في هذا البلد, وقد قاتلت اخوانا لكم, أي نعم لقد كنا في هذا البلد الذي يبدو سكانه لا يزال يعيشون في العصور الوسطى, أمام الحروب المستمرة لتلك العصور حروب لا تفصل بينها الا فترات قد تطول و قد تقصر.

وقد أوضح كل من , ديلافوس و بوري, أن حجم الخسائر قد يكون في بدايته ولم تتم السيطرة على الفوضى الا عند الظهيرة. وكان علينا أن ننتظر بضع أيام لنتأكد من زوال الخطر...فلو أن المدن بدورها انتفضت , قال بعض المجربين, لكانت وقعت كارثة عظمى. كما كتب مراسل , لوموند, يوم 23 غشت يقول : ان المأساة المغربية لم تصب المدن.

ففي الدار البيضاء , وقد كان التخوف من أن يجرف تعصب الجماهير القادة الوطنيين, كانت الخسائر ضعيفة بالنظر لما كان في الامكان وقوعه. وبعد أن مرت ثلاثة أيام على الحدث, يمكن للمرء النظر الى ما وقع بقدر أدنى من الموضوعية ولا أحد حتى من الأعداء الألذاء لحزبي الاستقلال, والشورى و الاستقلال ينكر هذه الحقيقة.

كانت محادثات ايكس ليبان كما أتذكرها عبارة عن جلسة مغلقة, فقد أقمنا في فندق فيه تتم اجتماعاتنا ...وفيه نتناول طعامنا...ويعود ما احتفظ به عن مؤتمر ايكس ليبان من شعور بعبثية الموقف في كون حل المشكل معروفا مسبقا ما دام لا يوجد الا حل واحد.

ولم يشكل اللقاء بين الفرنسيين و المغاربة الا أمرا ثانويا, اذ كان المقصود به أساسا العمل على توضيح الأمر بين الفرسيين أنفسهم واقناع بعضهم البعض.

وأهم لحظات اليوم كنت أقضيها برفقة محاوري الأساسيين, انطوان بيني زببير كونيج, كانا يتخذان مجلسهما بجانبي عندما كنا نستقبل الوفود. وكنا نخصص بداية النهار , عند الفطور و نهايته, بعد, لعرض وجهات نظرنا.

و يمكنني أن ألخص ما احتفظ به من ذكرى عن تلك المحادثات في صورة دلوين في بئر, أحدهما صاعد و الأخر نازل.

فمثلا, أخبر في الصباح أن أنطوان بييني, بدأ يتراجع عن موقفه. فأهرع اليه و أحاول اقناعه بحججي فيشغلني ذلك عن كونينغ. وقد علمت أنه استقر على رأي ولم يعد في حيرة من أمره. وفي المساء ألتقي بييني فيقول لي :

اقد فكرت فيما سمعته منك صباحا, وأعتقد أنك على حق. وفلان ترك لي انطباع كذا, أو أخبرني مساعدي بأن...الخ.

اذ أن كل شيء يسير على ما يرام, ثم أسرع لملاقاة القطب الثاني , الجنرال كونيغ, لأتحقق في ما اذا كان لا يزال على رأيه....يا الاهي...ها هو يمر بأزمة...

والواقع أن الرجلين يكونا منطقيين و يفكران بكيفية سليمة عندما لا يتعرضان لظغوط أجنبية. فالبنسبة للجينرال كونيغ كان تحت تأثير زملائه أو مساعديه العسكريين الذين لا يوجد من بينهم الا قلة من الليبراليين , وهم كثيرون في المراتب الدنيا في الجيش.

أما انطوان بيني , فكان أصدقائه السياسيون و بعض الملهمين ذوي تجربة في فن ممارسة الضغط من دون أن يكونوا في مواقع المسؤولية.

زيادة على هذا , كانت العلاقة بين انطوان بيني و كرانفال على خير ما يرام خلافا لما كان عليه الحال بينهما في البداية.

وقد أعزى كرانفال في مذكرات لم تنشر له هذا التغيير الحاصل من بييني اتجاهه الى عوامل شخصية , وهو أمر غير صحيح في ما يبدو لي. وأعتقد بالأحرى أن المقيم العام, كما يعرف من طبعه, قد كون رأيا مبالغا فيه حول تلك العناية التي أولاها اياه انطوان بيني في لحظة من اللحظات.

ومهما يكن فان شعور بيني اتجاه كرانفال, كان في بداية المؤتمر كما جاء في تصريح بيني , أوردته جريدة لوموند : منذ وصول المقيم العام الى الرباط وهو لا يتصرف بالطريقة التي ينبغي لموظف سامي أن يتصرف بها.

وهذا الحكم المسبق في حق الرجل, سيظهر أثره على مخطط كرانفال, الذي صرح لوزير الخارجية, فيما يبدو, بتحفظات جديدة تجاهه. وبالخصوص فيما يتعلق من هذا المخطط بمشروع الحكومة المغربية : فقد كان بيني يعتقد بتأثير من أصدقائه السياسيين أن التفاهم مع حزب الاستقلال لن يكون ممكنا و لا مرغوبا فيه.

وعلى عكس هذا كان يحتفظ بانطباع جيد عن علاقاته بممثلي حزب الشورى و الاستقلال مما جعله يفكر, مثل كثيرين غيره, في امكانية احداث تباعد بين الحزبين الوطنيين, وأنا شخصيا لم أركن الى هذا الوهم. فأنا أعرف حزب الشورى و الاستقلال اذا ما قبل الخوض في الميدان بمفرده فانه سيفقد ثلاثة ارباع من اتباعه. اذ لا يمكن مقارنة ما له من نفوذ بما يتوفر عليه حزب الاستقلال من اشعاع, ان الفضل في ما لحزب الشورى والاستقلال من اشعاع يعود الى قيمة شخصيات زعمائه, اكثر مما يعود الى تأثيره في الجماهير. وهذا العنصر الايجابي لدبه سيذهب عند أول اشارة ادانة تصدر عن السلطان في حقه.

واذا كان انطونا بيني يستطيع منح تفثه لهذا او ذاك من رفاقه السياسيين المحافظين , فانه ظل محتفظا بحريته في تقدير الأمور. كما أنه لم يكن يتعرض للضغوط السلبية وحدها. فقد كان هنري بييرسو اهم مساعديه, وهو ينتمي الى المستقلين, وليس من أولائك الذين يتصرفون بناء على افكار مسبقة أو على اساس تصور جامد لعالم يتحرك, قد استوعب معطيات المشكل المغربي , اذ تابع

بكل ما توفر لديه من قوة الملاحظة و التحليل و التطور ما يجري في اللقاءات المبرمجة بايكس لبان.

ومن أهم ما ميز هذا المؤتمر قيمته البيداغوجية ان صح التعبير, حيث أتيح للمشاركين الاطلاع خلاله على مجموعة من المعلومات من مصادر جيدة , تم التحقق من صحتها مباشرة عن طريق المقارنة بينها....وهكذا سيصبح هانري بوريسو منذ المؤتمر من بين المقربين في المسأ>لة المغربية, فكان الى جانب انطوان بيني يقوم بمثل ما كان يقوم به الى جانبي كل من جولي و دوهاميل.

وبذلك تكمن من أن يمنح ضمانة اضافية و معتدلة لسياستنا فلم يكن شخصا زائدا كما أنه قدم الى اليمين خدمة كبيرة مبرهنا بذلك لليسار انهم ليسوا وحدهم من يملك رؤية ذكية حول ما يعرفه العالم من تطور.

خصصت الجلسة الاولى للاستماع الى رجال المخزن...ثم لأولائك الذين يطلق عليهم صفة التقليديين, فكان على رأس الأولين المقري و على الخصوص ابنه التهامي وهو من أكبر الشياطين جاذبية وظرفا. وقد كلف لبعض الوقت بإدارة المالية العامة على الطريقة المغربية. وكان يقدم للصحافة تصريحات يحرص على أن تكون صياغتها متوازنة. ومما قرأت له باندهاش كبير قوله أن الحكومة الشرعية الوحيدة المعترف بها هي الحكومة القائمة حاليا بالرباط, والحال أنه لا وجود لتلك الحكومة و أن المشكل كله كان في تشكيلها.

اما للتقليديين من باشوات و قواد فكانوا , باستثناء من كان منهم ضابطا بالجيش الفرنسي, يجهلون لغتنا و يعبرون بأصوات غير مفهومة لنا عن ولائهم لفرنسا, ولرسالتها التمدينية و لثقافتها. يشعؤ المرء امام وفاء هؤلاء الفلاحين العجزة بسحناتهم المشققة بتأثر صادق. وفاء تعتمد عليه تلك العقول المتآمرة حتى تقود بعنف مغرب النصف الثاني من القرن العشرين, فتخيلت نفسي وهم يتحدثون أعود الى تلك الحقبة التي كان فيها اخ زوجتي , لورنت, يضع على رأسه عمامة مغربية و يذهب في رحلة الى , ارييج, ثم يذهب الى المغرب ليلقى حتفه في أحد المراكز بفاس البالي..وابن عمي , راوول, وقد كان ساعتها بثكنة في الرباط وابنة عمي , انماري, استاذة الانجليزية و تدير هناك ناديا فرنسي انجليزي. واختي , هنرييت, وكانت تسحر اطر الاقامة العامة بعزفها على البيانو. وكما كان ساعتها رجل الاجانب , كما كان يطلق عليه, القائد العدو يسمى عيد الكريم.

لقد مر على هذا 30 سنة.

فهل سنصمد أمام موجة المطالبة بالاستقلال التي يعرفها العالم, موجة تحالفت مع ملكية نحن من أقامها معتمدين في صمودنا على بنيات تبث بلاها منذ حرب الريف؟

وقد هزنا أنا و بيني انفعال قوي عندما قام الكولونيل المدني باشا اكادير و توجه الينا في خطاب بسيط صادر من القلب. ولما توقف عن الكلام لم أستطع تمالك نفسي فقمت لمعانقته. كان المدني يعني بالنسبة لبييني الميدالية العسكرية بفيردان, وكان بالنسبة لي يعني الوفاء لطابور قوس النصر يوم أول انتصار على المانيا. كتب نيتش بوما , انساني انساني جدا, واستطيع القول عند سماع المدني. فرنسي فرنسي جدا , ولكن من اين لهذا الصوت رن يقف في وجه راديو صوت القاهرة.

انما هي فرنسا تحاور نفسها , هكذا كان يقول في الكواليس الوطنيون وأصدقائهم من الفرنسيين , وأخيرا أتى دور الحزبين السياسيين. وقد تركا ممثلا حزب الشورى و الاستقلال اثرا طيبا بتدخلهما , وهما على الخصوص بوطالب , وسيتولى فيما بعد منصبا وزاريا كما سيتكلف بمهم ديبلوماسية وهو اليوم زميلي في أكاديمية المغرب. والشرقاوي , وزير في المستقبل وزوج أخت الحسن الثاني, أثرا في وفدنا بقوة شخصيتهما . وطلاقة تعبيرهما وذكاء حديثهما , فحضيا بالقبول حتى من المحافظين منا. ذلك لانهما كانوا أقل إلحاحا في المطالب من رجال حزب الاستقلال مع تأكيدهما على رفضهما الاعتراف بابن عرفة , وعلى التأكيد على ولائهما لمحمد الخامس.

أما أعمق تأثير عشناه هذا الاسبوع فكان ولا شك لما سمعنا ممثلي حزب الاستقلال برئاسة عبد الرحيم بوعبيد واليازدي و ابن بركة. القى بوعبيد عرضا لو أن المؤتمر أجرى مباراة او لو شارك به صاحبه في امتحان شهادة التبريز بكلية الحقوق لحصل به بالتأكيد على المرتبة الاولى. اذ كان عرضه هذا غاية في الصياغة المنطقية و التكامل المنهجي, ينهض دليلا لا يضاهى على الصدق, خلوص النية, فقد يتظاهر بالانتساب الى هوية ثقافية ما, وعندما أتى في كلمته على خاتمتها التي أشار فيها الى ذلك البعد الثقافي في صلاتنا قلت له: ان الثقافة الفرنسية هي أنت.

ألم يكن هذا أعظم ضمان لفرنسا على أن نهاية هيمنتها على المغرب أصبح أمرا مطلوبا و بلغتها من قبل أناس يعبرون جيدا عن عبقرية هذه اللغة؟

و ستظهر من خلال توالي الشهادات فوة حقيقية عجلت باضمحلال تلك المقاومة التي واجهت مخطط كرانفال فيما يتعلق بمسألة مجلس التاج. مما جعل روبير شومان يتعجل في الحكم بكسب القضية. أما الجنيرال كونييغ فلم يعبر عن رأيه صراحة مما دفعني الى الاعتقاد بأنه لن يعترض بشكل قاطع على الاتفاق. كما تأكدت من ايجابية موقف بييني.

وقد تمت المفاوضات الحقيقية بعيدا عن الوزراء خلال زوال يوم الجمعة ثم يوم السبت تم أثناءها التوصل الى اعداد بروتوكول فعلي حول أهم الامور و القضايا , وكان يسير المحادثات الى جانب بيير جولي , جاك دوهاميل و هنري بورسو , وظلوا مثابرين حتى توصلوا الى النتيجة النهائية , وقد ساعدهم في ذلك مدير الشؤون المغربية التونسية وأحد مساعدي بيير جولي , اوليفر ماني.

أما الصدر الأعظم فقد قام في تلك المحادثات بدور الخبير الاداري و المستشاري لحساب التقليديين الواقعيين , بينما تشكل الطرف الأخر بطبيعة الحال من ممثلي وفدي حزب الشورى و الاستقلال و حزب الاستقلال. اذ ظلا هذان الوفدان على اتصال بأمينهما العامين و هما على التوالي : بلافريج بجنيف لحزب الاستقلال , و الوزاني بلوزان عن حزب الشورى و الاستقلال. وزوال يوم الشبت كلمني دوهاميل هاتفيا من ايكس ليبان و أنا على وصول الى سان كلود, فذكر لي النقط الأساسية التي تم التعاقد عليها. فات العقد المبرم كما لو كان حلقة وصل مخطط كرانفال القديم و اعلان سيل سان كلود الاحق.

أولا : ذهاب ابن عرفة, وقد حددت امكانية تنفيذ ذلك بيوم الاثنين.

ثانيا : تشكبل مجلس التاج, من ثلاث اعضاء.

ثالثا: تشكيل حكومة مغربية , وقد أبدى حزب الاستقلال استعداده للمشاركة فيها. انما بعد عودة السلطان المنفي الى فرنسا. وبالنسبة للمرحلة الفاصلة , بين تكيل الحكومة وعودة السلطان, فقد وافق على أن تشكل الحكومة من الأن ولو بدون مشاركته فيها.

رابعا : فيما يتعلق بعودة محمد بن يوسف الى فرنسا فان ممثلي رئاسة الحكومة قبلوا ذلك من حيث المبدأ, ولكنهم علقوا تاريخ تحقيق ذلك .لأننا كنا نعلم انها النقطة التي سيكون من الصعب على الهيئات السياسية القبول بها.

وبعد لحظة من الذهول و القلق تماسك رؤساء المؤامرة الدائمة , فأمنوا اتصالاتهم وخصوصا جناح ابن عرفة منهم بواسطة الحجوي.

اذ قام مدير التشريفات , الحجوي بعدما أجرى محادثات مفيدة مع بييني برحلة الى الرباط. ليعنف السلطان و يلزمه بالانضباط. كما أعد له تصريحا يؤكد فيه تمسكه بحقوقه, اذاعه يوم 27 غشت فلم يبال أحد هذه المرة.

ولكن رؤوس الفتنة لم تفرغ جعبتهم بعد. و ها هو التاريخ يعيد نفسه , اذ بينما كان المخطط يتقدم, جاء مخطط مضاد ينتظر أن يصطدم به بين الفينة و الأخرى.

وقد اتخذ الهجوم هذه المرة شكلا لم يكن في الحسبان , اذ اكتشف خصومي و استغلوا نقطة ضعف لم ألق لها بالا على الاطلاق.

اتفاق انتيسرابي

تركت الأمسية التي قضيتها برفقة يولير دولاتور لدي انطباعا غير محدد, وأظن أنني خرجت منها بنقطة ايجابية تتمثل في كون الجنيرال يتمنى ذهاب ابن عرفة و ذلك لسبب ذي علاقة بردود فعل لها صلة بما يجري في المغرب من جهة و بتعلقه المهني كاختصاصي في الحفاظ على الزمن.

وبما ان مدبري عملية 1953 , نفي السلطان, لم يستشيروا قبل فعلتهم السلطات الاسبانية ولم يشعروها بخطورة ما قاموا به, فان هذه السلطات ظلت تعترف بالسلطان محمد بن يوسف سلطانا شرعيا وحيدا, فضلا عن أنها كانت تتصرف اتجاه الحماية الفرنسية بشكل عدائي .

فلم يكن الجنيرال , فالينو, يترك أي فرصة تمر دون التعبير عن عدائه , حيث كان يوفر تسهيلات لجيش التحرير المغربي ليقيم قواعده بالمنطقة التي أصبحت قاعدة تنطلق منها عملياته ضدنا. وقد رأى بيير دولاتور بوضوح الأخطار الكامنة في هذا الوضع الذي يمكنه, فضلا عن تحركات الكوماندو, أن يساعد في انتشار الانتفاضة عبر مجموع البلاد. ولهذا ما ان استلم مهامه كمقيم عام حتى قرر القطع مع تلك الاستراتيجية الكارثية التي كان الجنيرال دوفال يتبناها, كارثية لأنها كانت تقود الى الكارثة و لأنها تتعمد وقوع الكارثة.

وكان المقيم العام يريد انهاء الخلاف الفرنسي الاسباني بذهاب ابن عرفة , ففكر في ايجاد خليفة أي رجل ثالث, ولم يكن يعارضني في مجلس التاج كحل, بل بدى و كأنه موافق على هذا الحل من حيث المبدأ. الا أنني كنت أشعر به يتشوق الى تأمين حريته في التصرف. وقد احتفظت لنفسي بورقة حاسمة لم تكن لسلطات الرباط يد فيها ألا و هي ورقة التفاوض مع السلطان المنفي. فقررت استعمالها دون تأخير.

وقد سبق أن استدعيت الى مقر رئاسة الحكومة ,ليوم الثلاثاء صباحا 20 غشت, باشا فاس السابق الفاطمي بن سليمان, وكان كرانفال اقترح اسمه في المقدمة كرئيس للحكومة المغربية. حضرت متأخرا وأنا راجع من سيل سان كلود, فوجدت زائري برفقة الجنيرال كونيغ, كان بين الرجل تعارف و احترام متبادل, وما ان عبرت لهما عن حرجي من كوني جعلتهما ينتظران حتى انفجرا ضاحكين , كان الجنيرال منشرحا.

قال : كنت أقول للفاطمي بانك عندما ستحضر ستعتذر ثم ستكون لطيفا جدا, قلت : وأنت, هل أنت لطيف جدا؟ قرأت في جريدة, لورور, ما يلي : أن وزير الدفاع يعبر عن عدم موافقته على السياسة المغربية للحكومة.

صاح أن في الأمر سوء تفاهم وقد أوضحته, أه لو أرصدقه, لأنني لم أكن أتمنى وقوع أزمة.

وقد كان رجلا جذابا في انشراحه.

كان يهمني رأي باشا فاس السابق . اذ يعتبر الباشا بمثابة محطة تقاطع هندسي في مجموع استعداداتنا فأتى رايه حاسما اذ أكد , كما كنت أنتظر منه, أن أرول ما يجب فعله هو توثيق الصلة بالسلطان المنفي. فلا يمكن الخطو الى الأمام قبل توفر هذا الشرط. فطلبت منه عرضا ما اذا تكلف هو بهذه المهمة , وستقدم على انها مجرد زيارة شخصية واستشارة عادية. الا أنه و كما توقعت صاح قائلا : ينبغي أن تكون المبادرة رسمية من عند السلطات الفرنسية, ومن مستوى عال.

ها أنا اعود الى النقطة السابقة حيث أصادف بطبيعة الحال اسم كارتو. وقد استقبل كونيج, اقتراح ابن سليمان بسرور...

وأثناء حديثنا , أنا و جاك دوهاميل, أثرت ذلك المشروع الذي كنت تناولناه في عجالة مع كرانفال والمتعلق بسفر انطوان بيني الى انتيسرابي, ولم نفكر في جعل انطوان بيني يقبل بهذه المهمة, اذ سيكون الأمر حساسا. خصوصا بعد تصلب في موقفه مؤخرا. كما أننا لا نستطيع معرفة ما اذا كان سيتقبل بصدر رحب اقتراحا من هذا النوع, وفجأة ورد في حديثنا , ولا أدري كيف اسم بريسو, ها هي الفكرة التي كنا نبحث عنها : يكفي أن نصل هانري بريسو بكارتو. الذي يمكن أن يدخل معه في منافسة بروتوكولية. قبل ,بريسو, المهمة شريطة موافقة بييني فحصل عليها على التو. وبذلك نكون قد ضمنا من اللحظة مساندة وزارة الشؤون الخارجية لنا.

وهي سفر مبعوثينا في سرية تامة.

فحلا بانتيسرابي يوم الاحد 5 شتنبر.

غير أنهما شوهدا في أحد المطارات عندما توقفت الطائرة أثناء رحلتهما فانتشر خبرهما عبر الامواج و تناولته الصحافة , فأصاب الحزبان المغربيان اضطراب و حماس محمومان.

وطالبا بالذهاب كذلك الى مدغشقر و جعلا من الموافقة على هذا الذهاب شرطا لمساهمتهما في المحادثات اللاحقة. مذكران بما أبدياه من ارادة حسنة و بالهدوء الذي حافظا عليه اثناء تغيير كرانفال ببوتير دولاتور. رغم ما للمغاربة من أراء مسبقة ليست في صالح المقيم العام الجديد. فتحدثت في هذا مع جولي و بيني فوافقا على ما أخذه من قرار :

فسمحت للحزبين بهذا السفر على أن يكون بعد يومين من سفر ممثلينا , و قد كنت متأكدا من أنه اذا ما منعنا الحزبين من الاتصال بالسلطان فانهما قد يتملصان من اتفاق , بيننا و بين السلطان, وسيتمكنا بسهولة من اقناع السلطان بسحب موافقته و ذلك لبطلان تلك الاتفاقات نظرا لكونه منع اثناء ابرامها من الاتصال بالخارج.

و قد سررت بكوني تمكنت من السماح للبكاي بمرافقة الوفد الجديد.

لأن البكاي سيلتزم بدوره كوسيط وكداعي للاعتدال.

وبحضور الوطنيين أصبح من الصعب و لاشك الحصول على اتفاق , كما أن التراجع عنه , ان تم , سيكون اصعب. وبالفعل فقد عقد حضورهما المحادثات مهمة مفوضينا وان تمكنا مع ذلك من ابرام اتفاق تم في صيغة تبادل رسائل مؤرخة ب 8 و 9 شتنبر بين الجنيرال كارنو و السلطان , وتعالج هده النصوص : من جهة العلاقات الفرنسية المغربية في العمق التي ظلت موضوع صراع منذ نهاية الحرب. و بالخصوص منذ 1950 , كما تعالج من جهة اخرى التدابير العاجلة الواجب اتخاذها.

اما بالنسبة للنقطة الاولى فان الفريقين اعتمدا معا مرجعا واحدا وهو موضوع التبعية المتبادلة التي سبق للسلطان نفسه ان أثارها في رسالة له , غير منشورة, بتاريخ 26 دجنبر 1954, ثم أثارها المارشال جوان في مقال له. كما وردت في رسالة ابن عرفة المؤرخة ب 16 غشت . وهو الموضوع الذي سيتقدم به بيني للأمم المتحدة كمرتكز للسياسة الفرنسية بالمغرب

كما تعلن الرسائل المتبادلة عن التدابير المتعلقة بمجلس التاج و ما خول له من سلطات و صلاحيات و بالحكومة المغربية التي ستباشر التفاوض و الادارة و التي تتكون من ممثلين عن مختلف تيارات الرأي, وقد قبل صاحب الجلالة سيدي محمد دعم هذه السياسة اما الرأي العام المغربي معلنا عن تحفظه فيما يتعلق بمجلس التاج دون المساس بحق من حقوقه. وهو تحفظ لا أحد كان يفكر أن السلطان يستطيع التنازل عنه.

من هذا الجانب كانت القضية تبدو و كأنها انتهت و من ناحية اخرى, كان المقيم العام بالرباط يتصرف باعتباره منفذا لتعليمات الحكومة , فقام بزيارة ابن عرفة يوم الخامس من شتنبر , وقد أكد له هذا الاخير موافقته التامة على الانسحاب , ونحن نعلم أن ابن عرفة منذ توسط التازي لم يكن يتمنى شيء اخر غير انسحابه.

و حصل دولاتور على هذا التايد كتابة. وبذلك أصبحنا نعتبر, منذ 10 شتنبر , الأزمة المغربية في طريقها الى تجاوز المرحلة الحرجة وذلك في أجال معقولة لن تتعدى 48 ساعة.

الا أننا لم نف بهذا.

فغذاة انفاق انتيسرابي مع السلطان المنفي, انطلقت المناورات ,بهدف تأخير الحل, تم تنسيقها انطلاقا من موقف مركزي يدفع به في خطين متوازيين و بكيفية ممنهجة أحدهما في باريس و الثاني في الرباط.

في باريس أثار الجنيرال كونيغ أثناء اجتماع مجلس الوزراء المنعقد بتاريخ 12 شتنبر صعوبات تتعلق بالشكل و بالمسطرة , اذ طالب بأن يحرر رئيس الجمهورية رسالة رسمية يصرح فيها بأنه أخذ علما بتنازل مولاي ابن عرفة و يقدم له فيها بعض التطمينات , كما طلب من الرئيس أن يسجل في هذه الرسالة التزام فرنسا بأن لا يعود ابن يوسف الى العرش أبدا.

وقد وجد بيير جولي نفسه مضطرا الى الادلاء بتصريح من هذا النوع أمام لجنة الشؤون الخارجية كما وجد الصيغة مغرية لولا أنه استشار قبل ذلك الجنيرال كارتو , الذي اعترض مؤكدا على رن السلطان المنفي سيرى فيها اهانة جارحة , فضلا عن كون ذلك الالتزام فير مقبول من الناحية القانونية لأننا ليس في وسعنا الحد من حرية قرار الشعب المغربي, ولم يشق علي تأييد هذا الموقف, رغم ما يرتبط بهذا التصرف من اخطار. وقد أيدته لأنني كنت دائما ارفض مثل هذا الالتزام العابث.

ولم يتوصل مجلس الوزراء الى نتيجة, فدعوت مجددا لاجتماع اللجنة الخماسية و قد التحق بها بالمناسبة, كاستون بالوسكي و بيير هنري تيكين, غير أن الجنيرال كونيغ لم يتنازل عن موقفه.

وكان ريموند شميتين, من جهته يحاول اقناع مجموعات البرلمانيين فلم تواجهه أية مقاومة من قبل أعضاء حزب, اوراس, و التزم الصمت من كان يؤيدني منهم. أما مقاومة بييني فكانت وهما مما جعل الخصوم يجدون صعوبة في اثارة البرلمانيين ضده لذلك اتدعى المتآمرون من حزبه لاجتماع ما يسمى بمجلس اداري يفرض فيه النكرات من المناضلين رأيهم.

فأصدر هذا المجلس تصريحا طال فيه بضرورة تنازل السلطان الشرعي على العرش....قبل عودته الى باريس مما سيؤدي بطبيعة الحال الى الغاء جميع الاتفاقات.

وقد حضر بيني الجلسة الموالية فاغتاظ و انسحب تم اعلن عن أنه لن يعود للاجتماع ثانية و يعتبر نفسه مستقيلا عن الحزب.

ولم يكن المتشددون متأسفين و لا نادمين بل ان هذا الحادث جاء لصالحهم و قد قدم بكيفية غريبة في أحد المناشير التي كانت توزع على المشاركين و كانت مزدهرة على عهد الجمهورية الرابعة. جاء ذلك المنشور بما يلي تقريبا : ان الهدف الرئيسي هو تنحية ادكار فور , لا نه مقتنع بسياسته ولن يتخلى عنها , وأنسب شخص يعوضه سيكون بيني الذي يتبنى ولا الشك السياسة نفسها. الا أنه

ما يتحرر من تأثير اذكارفور عليه حتى نعمل على اعادته لجادة الصواب. وبالتالي لو انسحب بيني من لجنة المستقلين فسيكون ذلك عملا ممتازا , اذ بذلك لن يتحمل أية مسؤولية في سقوط حكومة فور , ولن يوجه اليه أي لوم , فينتخب أعضاء, م.ر.ب, لصالحه دون تأنيب ضمير. وجاء الموقف النبيل و الصادق الذي وقفه بيني في اليوم الحاسم تكذيبا قاسيا لأصحاب الحسابات الخسيسة. وان كانوا في الوقت الحاضر يعتقدون صواب حساباتهم و يجعلون اخرين يعتقدون ذلك. وفي الرباط لم يخف , بويير دولاتور, غضبه لما علم بأننا سمحنا للحزبين السياسيين المغربيين بإرسال وفد عنهما الى انتيسرابي , وعندما اطلع على الاتفاق الذي حصل , وقف ضد وجود البكاي في مجلس التاج.

واتصل بإيعاز من احد المفتشين المركزيين بنشطاء جماعة الوجود الفرنسي الذين بعدما طرد الدكتور لاكوست من المغرب , فقدوا الكثير من نفوذهم و من قتاليتهم. و قد استقبل زعيمهم الجديد المحامي الراديكالي , كورويير, و صديق , ايميل روش, تعيين المقيم الجديد بتصرف وقح, الأمر الدي سيثير ردود فعل صاخبة من رجل مطبوع على الاحتداد عندما يمس شرفه, او يعكر مزاجه. الا ان دولاتور بدلا من أن يحنق على , فولير, جعل منه المخاطب المكلف بربط صلة بين فريق النشطاء وبين الحجوي الذي تقوى بذلك فسارع الى دفع البئيس ابن عرفة ليغير من موقفه.

وبكل اطمئنان يخبرنا دولاتور أن السلطان المخلوع سحب موافقته عن التنازل عن العرش و هو متمسك بالملك.

وبما أن المقيم العام يحتاط من أن يجد نفسه في وضع عدم انضباط ظاهر فقد كان يعمل على ايجاد شخصية وازنة تعين بمجلس التاج مع الحاجة في الوقت نفسه على رد تعيين البكاي في ذلك المجلس.

فاقترح أولا باشا اكادير وهو احد أتباع الكلاوي الاوفياء و من نفس مستوى البكاي فهو كولونيل في الجيش الفرنسي , الا ان الوطنيين اعتبروا ذلك اهانة لهم ودليلا على ارادة التخريب التي لمسوها لدى المقيم العام منذ البداية. وحسب ما يتصوره الاتفاق , فان تعيين البكاي ممثل السلطان سيضمن التوازن داخل المجلس , يؤمنه المقري الصدر الاعظم المجسد للمخزن. اما الرجل الثالث فقد اشترط فيه ان يكون من المحايدين. وقد الح محمد بن يوسف من جهة اخرى انه لن يقبل , في مجلس التاج, اي واحد من فريق الكلاوي الذين شاركوا في حادث 1953 و الذين كانوا ينعتون بالتقليديين.

وحتى نتقدم بالقضية , اقترح علي, فرانسيس بوري, لهذا المنصب الجنيرال الكتاني و هو الضابط المغربي, الوحيد الحاصل على اسمى الاوسمة في الجيش الفرنسي. فدعوته الى باريس و بعثت به على متن طائرة الرئاسة الى البرتغال حيث يقيم الجنيرال نوجيس, المقيم العام السابق بالمغرب, يقال بان له نفوذا على الكتاني الذي عمل تحت امرته....

الا ان ذلك كان جهدا ضائعا, فعندما اعرب الجنيرال الكتاني مرات عديدة على قبوله بالمهمة انتهى في الاخير برفض ما اقترح عليه, وقد اعتقد ساعتها ان كونيغ الذي بدل جهدا في اقناعه كان يقوم بدور مزدوج. وانا غير واثق من ذلك.

واعتقد بالأحرى ان الجنيرال كونيغ قطع الطريق على عودة محمد بن يوسف الى العرش, فرفض ساعتها الكتاني الاضطلاع بهذا الدور لا نه حتى و لو كان جنيرالا فهو من مؤيدي الشرعية, مثله في ذلك مثل الغالبية الكبرى من المغاربة.

ثم قال لي جولي وقد مل هذا الصراع لماذا لا نعين القبطان اوفقير الذي اثق به, وهو ضابط فرنسي حاذ الذكاء , وبه تتوفر لدينا كل الضمانات. ولم عرضت هذا الاقتراح على الجنيرال دولاتور اهتاج و قال انه مساعدي , والواقع ان الجنيرال اوفقير كان رجلا كفئا, كما رأه جولي, بل و أكثر من ذلك...وقد رأينا ذلك فيما بعد.

وحوالي الثامن عشر من شهر شتنبر وصلتني من مصدر سري جدا وموثوق به جدا , معلومة مفادها امكانية صدور أمر القيام بانتفاضة شاملة بالمغرب العربي تبدأ في شهر اكتوبر. فاستدعيت مجلس الوزراء يوم 20 شتنبر ولم أطلع أحدا باستثناء الجنيرال كونيغ على ما وصلني فبدى الجنيرال متشككا. ولكنه من يومها أقلع عن ممارسة مناوراته السابقة. وفي الاجتماع جعلت الحكومة تصادق على التعليمات الجديدة الصارمة لممثلها بتونس.

وزيادة في الاحتياط استدعيت في نفس اليوم المقيم العام الى باريس وسلمت له نص التعليمات حين المصادفة عليها. وقد حدد في ذلك النص بدقة الخطوات التي على المقيم انجازها بمجرد دعوته الى المغرب :

بمجرد وصولك الى الرباط تطلب مقابلة السلطان و تشرح له...ثم بعد ذلك تقابل الصدر الاعظم وتدعوه لتأسيس مجلس التاج, أما بالنسبة للمجلس فينبغي أن يتشكل من المقري ذاته ومن البكاي و شخصية ثالثة يتم اختيارها من 18 أسما عملنا على ادراج اسم اوفقير ضمنها.

و قد استفسرنا يوبير دولاتور حول احتمال تعيين العضو الثالث من خارج اللائحة فرخص له جولي ذلك برسالة بعثها اياه يوم 23 جاء فيها : بشرط أن تطلعنا من قبل على اختيارك وأن لا يعرضنا اختيارك الى توقيف نهائي للمحادثات الجارية.

ورغبة مني في أن أستغل الى أبعد الحدود الامكانيات التي توفرها علاقاتي الشخصية , استضفت على العشاء في نفس اليوم المقيم العام برفقة بعض الشخصيات من بينهم على الخصوص اميل روش الذي كان له نفوذ على بويير دولاتور.

وروش لم يكن من المتطرفين كما يعتبره البعض, كما لم تكن تمنعه صلته بالوجود الفرنسي و بالأوساط المؤيدة لابن عرفة من تفهم ضرورة التطور. بل ذهب الى التلفظ اثناء المأدبة بكلمة الاستقلال... وقد كان صادقا معي و متعاونا كما أنه لن يتأثر بمن يكره السلطان المنفي. ونقطة الخلاف الوحيدة بيننا تمثلت في رفضه دخول حزب الاستقلال الى الحكومة , اذ كان يعتقد أنه يمكن الاعتماد على حزب الشورى و الاستقلال وحده. وكنت أرى في ذلك وهما.

ثم أكد اميل روش و بحضور الجنيرال بومير دولاتور الذي وافق على ما يقول. ان ذهاب ابن عرفة سيتأكد في نهاية الشهر على ابعد تقدير , وذلك لأنني لمحت في حديثي الى ما يمكن ان يقع, هذه الايام, من أخطار كبيرة يجب تجنبها . ولكن سيدي الرئيس قدموا لي خرائط , قدموا لي خرائط , بهذه العبارة ختم المقيم العام حديثه في ما يشبه زئيرا.

وفي يوم 23 شتنبر جدد , ببير جولي, تعليماته في برقية للمقيم العام تحت رقم 134/133.

كما كتب في نفس التاريخ دولاتور من جهته الى وزير الشؤون المغربية, جولي, رسالة ضبابية و غامضة منافقة و معقدة و مربكة , كان جواب جولي عليها حازما....

ان كل تأخير اضافي.. سيستغل ضدنا مباشرة, و بالخصوص في الجمعية العامة للأمم المتحدة , وقد فشلنا في الحيلولة دون ادراج القضية المغربية ضمن جدول أعمالها.

وفي نفس اليوم من شهر شتنبر , توصلت من الكولونيل, طويا, برسالة شخصية سرية جدا , يذكر فيها مضيفا تصريحات عديدة بتلك المعلومة العامة المشار اليها

أانفا و يحيطنا علما بالاستعدادات من أجل القيام بانتفاضة واسعة بداية أكتوبر .
وقد حدد تاريخها هذه المرة في 2 اكتوبر ابتداءا من منتصف الليل.

كما ضمن الكولونيل, طويا, في رسالته معلومات لم أحصل لها على أثر في أية وثيقة اخرى. غير أن الأحداث ستأكدها. كما سيأكدها لي فيما بعد شهود عيان.
وقد تدارس السياسيون فيما بينهم الموقف الذي ينبغي اتخاده من مشروع الجهاد الذي أعده العسكريون , فانقسموا كما هو مألوف الى تيارين متعارضين فتم الاتفاق حسب الطريقة المتبعة في مثل هذه الحالة حول الاجماع على موقف واحد يتخذ حسب الظروف.

وكان الموقف الذي سيتخذ مرهونا بذهاب ابن عرفة او ببقائه, فاذا ما رحل عن العرش قبل فاتح اكتوبر فان رأي تيار المعتدلين سيكون هو الراجح , مؤقتا على الأقل..... و الا : أي اذا لم يرحل , سيسلم ساعتها بأن الحكومة الليبرالية الفرنسية التي اترأسها لا تريد احترام التزاماتها فتتم القطيعة معها.

يمكن للمرء ان يتصور مدى تأثير هذه الأخبار علي و التي كان علي ان أكتمها حماية لأمن الدولة.

اما باقي السلطات فقد كانت على بينة تامة من **وقوع وشيك لخطر داهم**.